من بلاغة السنة

تأليف

الدكتور محمد بيلو أحمد أبو بكر

المدرس بكلية الآداب
جامعة أم درمان الاسلامية
الأستاذ المساعد بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرجاء مراجعـــة التصويبات
في آخر الـكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ان الحمد لله ، نحمـــده ونستعينه ونستغفره ، ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضـــل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمـــدا عبده ورسوله • وبعد :

فان هذا الكتاب **من بلاغة السنة** يدور حول أربعين حديثا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقد دفعنى الى الـكتابة حولها ما هو معروف لدارسى البلاغة العربية ، من أن هذه الدراسات تكاد تكون محصورة فى نمط واحد ، وهو بث القواعد وتشفيعها بأمثلة متوارثة ، قلما تجد لهـا تجديدا أو ابتكارا ، وكثيرا ما تخلو من التطبيق ، ما عدا بعض الجهود التى قام بهـا بعض المفكرين حديثـــا ، ففكرت كثيرا حول المشـــاركة فى اخراجهـا من مستودعات القواعد وابراج القوانين الى ميدان العمل والتطبيق •

ولكن الى أين أتجه ، وأى طريق أسلك ، طال بى التفكير فى ذلك ، ثم شاء الله عز وجل أن أكون فى المدينة المنورة ، ذلك المكان الذى عاش فيه من أوتى بلاغة الكلام وجوامع الكلم • فوجدت نفسى كل يوم أخرج وأتطلع الى تلك الجبال التى تحيط بهـــا والتى كان يلقى صلى الله عليه وسلم نظراته عليها ، وهو يفكر فى ملكوت الله ، وأجوب بين الوديان التى كان يمر بهـــا أفضل الخلق مع صحابته وهو يتحدث اليهم بأعذب حديث ويلقنهم قواعـد أحسن الحديث •

من هنا رأيت أن الأفضل لى أن يكون ميدان التطبيق حديثه صلى الله عليه وسلم ، وان لم أكن من رجال ذلك ولكن وجدتنى مدفوعا الى ذلك دفعـا فشرعت فيه •

فلما كان موضوع التطبيق من أخطر الموضوعات ومن أكثرها نفعا للمسلم ، لأنه المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم ، ولأنه كلام من لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، آثرت أن يتناول البحث الجوانب الآتية :

الأول : ذكر النص ومحاولة الاشارة الى بعض الاختلافات الواردة فى الرواية ، وذكر مواقعه ، ومن أخرجه ، والترجمة عن بعض الرجال باختصار ·

الثانى : تناول المفردات بالشرح والتوضيح ، وبيان أصل الكلمة والمعنى الذى استعملت فيه ·

الثالث : اعراب ما يحتاج الى اعراب فى النص ، وبيان غوامضه ، فاذا كانت الكلمة تحتمل أكثر من وجه أشرت الى ذلك بايجاز وتركيز ليظهر المعنى وينكشف الستار ·

الرابع : تناول الألوان البلاغية فى الحديث وبيان مواقع الجمال فيه بصورة ميسرة مختصرة ، تقود السالك الى طريق التطبيق العملى فيجد نفسه فى متعة علمية عندما يلاحظ هذه الألوان البلاغية الواردة فى كلام أفصح الخلق ، الا أن ذلك خرج مخرج الاختصار وعدم الاطالة بما يتناسب مع من له المام بالبلاغة ، ويريد أن يطبق ما عنده على النصوص لتربية ملكة النقد والتذوق فى نفسه ليجد طريقا يتلمس من خلاله مواضع الحسن فيما بعد مستقلا ·

لهذا لم يكن كشف الأسرار البيانية بصورة استقصائية ، تفاديا للاملال أو جلب الثقل على نفس القارىء · وفوق ذلك ، أن محاولة ذكر كل شىء فى حديثه صلى الله عليه وسلم هو نوع من المجازفة التى ينبغى أن لا يحاولها عاقل اذ أن من حاول ذلك عليه أن يعد البحار مدادا ، والأشجار أقلاما ، لهذا اكتفيت بما تمس الحاجة اليه ·

الخامس : ذكر معنى الحديث بصورة تقود القارىء الى فهم النص فهما صحيحا حسب ما ورد من السلف الصالح من حيث استنباط المعنى وفهم ما يشير اليه الحديث ·

السادس : تناول ما يؤخـــذ من النص من أحكام وفوائد أو توجيـــه وارشاد كلما وجدت ذلك مناسبا .

هذا وقد أخذ كل قسم من هذه الأنواع مكانه الخاص ، حتى لا يحدث تداخل بينها بحيث يستطيع القارىء أن يكتفى بالقسم الذى يريد الوقوف عليه ، ويتجنب ما لا يلتقى بتخصصه أو استعداده .

فخرج هذا البحث بهذه الصورة وتناول أربعين حديثا متنوعة المقاصد مختلفة الأحكام ، ليكون ثروة قيمة تنير جوانب كثيرة من الجوانب التى تهم المسلم دينا ودنيا .

لهذا كان من أكبر همى أن تكون هذه الأحاديث صحيحة ، فكانت كلها مما ورد فى الصحيحين ـ البخارى ومسلم ـ مما اتفقا عليه أو ممـا تفرد به واحد منهما دون الآخر .

فأرجو أن أكون بهذا قد أشرت الى شىء من بلاغة سنته صلى الله عليه وسلم .

الله أسأل أن يجعل ذلك فى كفة الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون . آمين .

الدكتور محمد بيلو أحمد أبو بكر
المدرس بجامعة أم درمان الاسلامية
الأستاذ المساعد بالجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة

القاهرة فى الأربعاء ٢٢ من شهر رمضان ١٣٩٩ هـ
الموافق ١٥ أغسطس ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الأول

عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى دنيا يصحبها أو الى امـــرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

هذا النص أخرجه البخارى فى مقدمة صحيحه ، وقد روى هذا الحديث أيضا فى مواضع أخرى وهى ، كتاب الايمان والعتق ، وفضائل أصـــحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى النكاح ، وفى الايمان والنذور ، وفى ترك الحيل وفى الطلاق .

كما أخرجه مسلم فى الجهاد والامارة وأبو داود فى الطلاق ، والترمذى فى فضائل الجهاد وفى الحدود والنسائى فى الايمان والطهارة والعتاق والطلاق وابن ماجد فى الزهد ، وابن حنبل فى الجزء الأول من سننه(١) ، ليس من أصحاب الكتب الستة المعتمدة من لم يخرجه سوى صاحب الموطأ .

ومن رواياته : « **عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه** » .

من رجاله : عمر بن الخطاب(٢) :

---

(١) القول بأن الحديث أخرجه فلان وفلان لا يعنى انهم كلهم قد أخرجوه بلفظ واحد . وهكذا فى لأحاديث التى سترد فيما بعد فليتدبر .

(٢) وهو سيدنا عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى العدوى القرشى يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كعب الأب الثامن .

ليس فى الصحابة من اسمه عمر بن الخطاب غيره ولكن هناك من بينهم من اسمه عمر ثلاثة وعشرون نفسا، وهناك من الرواة من اسمه عمر بن الخطاب غير صاحب هذا الاسم ستة :

الأول : كوفى

والثانى : راسبى

والثالث : اسكندرى

والرابع : عنبرى

والخامس : سكستانب

والسادس : سدوسى بصرى(٣) ٠

نوع الحديث :

هذا الحديث فرد غريب باعتبار ، مشهور باعتبار آخر ، وليس بمتواتر الا أنه مجمع على صحته وعظم موقعه ، وله شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة(٤) ٠ وهذا الحديث ذكره الخليفة عمر بن الخطاب على المنبر النبوى المدنى(٥) ٠

المفردات اللغوية :

سمعت من سمعت الشيء سمعا وسماعا وسماعة ، والسمع سمع الانسان فيكون واحدا وجمعا ، لأنه فى الأصل مصدر ، ويجمع على اسماع ٠

هذا وقد اختلف النحاة فى فعل **سمع** هل يتعدى الى مفعولين أم لا وذلك على مذهبين :

الأول : أجاز ذلك على شريطة أن يكون المفعول الثانى مما يسمع حقيقة مثل : سمعت زيدا يقول كذا ٠

---

(٣) عمدة القارى جـ ١ ص ١٨ ٠

(٤) نفس المرجع جـ ١ ص ١٩ ٠

(٥) راجع شروح البخارى ص ٢٤ ٠

الثاني : يقول لا يتعدى الا الى مفعول واحد ، أما الفعل الواقع بعد المفعول ، فهو فى موضع الحال وهذا هو الصحيح(٦) ، فيكون المعنى : سمعته حال قوله كذا ٠

المنبر مشتق من النبر وهو الارتفاع ، وهو من باب ضرب يضرب وفى العباب نبرت الشيء أنبره مثل كسرته اكسره ، أى رفعته ، ومنه سمى المنبر لأنه يرتفع ويرفع الصوت عليه(٧) ٠

الأعمال : جمع عمل وهو مصدر قولك عمل يعمل عملا ، والفرق بينه وبين الفعل أن الفعل أعم من العمل(٨) ٠

بالنيات : جمع نية من نوى : من باب ضرب ، قال الجوهرى نويت نية ونواة ، أى عزمت ، والنيات بتشديد الياء هو المشهور وورد بلا تشديد وهو من ونى ينى اذا أبطأ وتأخر ، لأن النية تحتاج فى توجيهها وتصحيحها الى ابطاء وتأخر ، وقيل ان ذلك بعيد ٠ هذا وقد اختلف فى معنى النية(٩) : فقيل هو القصد الى الفعل وقصدك الشيء بقلبك وتحرى الطلب منك له ، وقال التميمى النية ههنا وجهة القلب ، وقيل انه انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا ٠ والمراد بالنية هنا هو العزم وهو ارادة الفعل والقطع عليه ٠

امرىء : الامرىء الرجل وفيه لغتان : امرىء كزبرج ، ومرء كفلس ولا جمع له من لفظة ٠ وهو من الغرائب ، لأن عين فعله تابع للام فى الحركات الثلاث دائما ٠ وكذا فى مؤنثه لغتان : امرأة ومرأة(١٠) ٠

هجرته : على وزن فعلة من الهجر وهو ضد الوصل ، ثم غلب ذلك على الخروج من أرض الى ارض وترك الأولى للثانية ، والمراد ههنا ترك الوطن والانتقال الى غيره ٠ وهى فى الاصطلاح الشرعى :

---

(٦) نفس المرجع جـ ١ ص ٢٣ وراجع أيضا شرح الشبرخيتى ص ٤٩ وشروح البخارى ص ٢٥ ٠

(٧) راجع القاموس المحيط : مادة نبر ٠ وعمدة القارى جـ ١ ص ٢٣ ٠

(٨) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٣ وشرح الشبرخيتى ص ٥٠ ٠

(٩) شرح الشبرخيتى ص ٥٠ ٠

(١٠) راجع عمدة القارى جـ ١ ص ٢٣ ٠

مغادرة دار الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة وطلب اقامة الدين ٠

وفى الحقيقة مفارقة ما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه ، ومن ذلك سمى الذين تركوا توطن مكة وتحولوا الى المدينة من الصحابة **المهاجرين** ٠

الى دنيا على وزن فعلى مقصورة غير منونة والضم أشهر وحكى بكسر الدال ويجمع على دنى ككبر جمع كبرى ، والنسبة اليها دنيوى دنيبى بثلاث ياآت ، وقيل : أنها سميت الدنيا لدنوها من الزوال ٠ وقال الجوهرى وينسب اليها بدنياوى ٠

وليست فيها تنوين باتفاق أهل اللغة العربية ، قيل ان الدنيا تأنيث للأدنى ولا ينصرف مثل حبلى ، والأصل فيها صفة لأن التقدير الحياة الدنيا ٠

هذا وفى حقيقة مسمى الدنيا قولان :

الأول : قيل انها هى ما على الأرض مع الهواء والجو ٠

الثانى : انها كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الدار الآخرة(١١) ٠

يصيبها من أحاب يصيب المراد بالاصابة هو الحصول والوجدان ، ومن معانيها القصد قال تعالى : (تجرى بأمره رخاء حيث أصاب)

ينكحها يتزوجها كما فى الرواية الأخرى ، وهو من باب ضرب تقول نكح ينكح نكحا ونكاحا اذا تزوج واذا جامع أيضا ٠

الأعراب :

يقول : جملة فعلية فى محل نصب حال من رسول الله صلى الله عليه وسلم والباء فى **بالنيات** : للمصاحبة كما فى قوله تعالى : (اهبط بسلام) و (وقد دخلوا بالكفر) ، ومتعلق بالنيات محذوف تقديره : انما الأعمال تحصل أو توجد بها ويجوز أن تكون للاستعانة أو للسببية ٠

---

(١١) شرح الشبرخيتى ص ٥٧ وعمدة القارى ج ١ ص ٢٤ ٠

ولكل امرىء : بكسر الراء وهى لغة القرآن وكلمة **امـــرىء** اذا كانت فيها ألـ فـالوصل كان فيها ثلاث لغات :

الأولى ـ وهى لغة القرآن قال الله تعالى :

(ان امرؤ هلك) (ويحول بين المرء وقلبه) وهى معربة من مكانين • تقول هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت على بامرىء •

والثانية : فتح الراء على كل حال •

والثالثة : ضم الراء على كل حال •

فاذا حذفت ألف الوصل قلت هذا مرء ورأيت مرأ ومررت بمرء بسكون الراء فيها وجمعه من غير لفظه وهو : رجال أو قوم(١٢) •

ما نوى : ما موصله ونوى : صلها والعائد محذوف أى نواه ، ولك أن تجعل **ما** مصدرية فلا تحتاج الى عائد : لأنها حرف عند سيبويه ويكـــون التقدير : **لكل امرىء نيته** •

فمن كانت هجرته : الفاء لعطف المفصل على المجمل ، لأن : ما بعد الفاء تفصيل لما سبق فى أول الحديث •

والى الدنيا : متعلق بالهجرة **ان كانت** : لفظة **كانت :** تامة أما ان قدرتها ناقصة فهو خبر لها •

يصيبها : جملة فى محل صفة لدنيا لانها نكرة • وكذلك **يتزوجها** •

و **فهجرته** : الفاء فيه هى الفاء الرابطة ، لسبق الشرط ، لان قـــوله **هجرته** : خبر ، لأن **فمن كانت** : يتضمن الشرط • **والى ما هاجر اليه** ، فيه احتمالان :

الأول : اما أن يكون متعلقا بالهجرة والخبر محذوف تقديره **هجرته الى ما هاجر اليه غير صحيحة ، أو غير مقبولة** •

---

(١٢) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٣ وشرح الشبرخيتى ص ٥٢ •

والثاني : أن يكون خبر **فهجرته** : والجملة خبر المتبدأ الذى هو : **من كانت** ٠

البلاغة :

انما : أداة للحصر ، وهو اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه أى بمعنى تخصيص أحد الأمرين بالآخر وحصره فيه ، وهى تفيد هذا الحكم لتضمنها معنى **ما** و **الا** ٠ وتفيد تأكيد الحكم ، وذلك انه لما كانت **ان** : لتأكيد اثبات المسند للمسند اليه ثم اتصلت بها **ما** التى تزاد للتأكيد كما فى **حيثما** ، فهى ليست **لا** التى للنفى ضاعفت التأكيد فناسب أن تضمن معنى القصر فهى اذن ليست الا تأكيدا للحكم على تأكيد ٠

واذا تقرر هذا فاعلم أن **انما** تقتضى الحصر المطلق وهو الأغلب والأكثر وتارة تقتضى حصرا مخصوصا كقوله تعالى : (انما أنت منذر) وقوله تعالى : « انما الحياة الدنيا لعب ولهو) ، فالمراد حصره فى النذارة لمن لا يؤمن وان كان ظاهرة الحصر فيها ، له صفات غير ذلك ، والمراد فى الآية الثانية الحصر بالنسبة لمن آثرها أو من باب تغليب الغالب على النادر ، ومثل ذلك يفهم بالقرائن والسياق ، وهذا هو المسمى فى اصطلاح أهل الفن بالقصر على طريق المبالغة أو الادعاء ، وهو كذلك فى كل قصر من الموصوف على الصفة ٠ والمقصور عليه **بانما** دائما هو المؤخر ٠ أما فى قوله **وانما لكل امرىء ما نوى** ففيه قصر المسند على المسند اليه حيث أن فيه تقديم الخبر قبل دخول **انما** وتقديم الخبر يفيد القصر ، وبدخول **انما** نجد أن الجملة قد اجتمع فيها قصران قصر بالتقديم وقصر **بانما** ٠ ثم ان الجملة الثانية كلها تأكيد للجملة الأولى ، ويمكن حملها على التأسيس لافادتها معنى لم يكن فى الأولى ٠ وفى قوله **الى دنيا** يصيبها تشبيه لأن المراد بالاصابة الحصول فالتقدير هو : فمن كانت هجرته الى تحصيل الدنيا فهجرته حاصلة لأجل الدنيا غير مفيدة له فى الآخرة ٠ وكان فيه تشبيه تحصيل الدنيا باصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود فى كل(١٣) ٠ وهذا هو الاستعارة التبعية عند أهل الفن ٠

وفيه أيضا من ألوان البلاغة التفصيل بعد الاجمال ، وذلك فى قوله : **فمن كانت هجرته الى دنيا ٠٠ الى آخرة** ٠ لا سيما فى الرواية التى فيها

---

(١٣) راجع عمدة القارى جـ ١ ص ٢٦ ٠

فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا ٠٠ الخ ٠

ومن بيانه صلى الله عليه وسلم نفهم أن هذا الحديث يفيد أن الأعمال الخارجية عن العبادة قد تفيد الثواب اذا نوى بها فاعلها القربة ، كالأكل والشرب اذا نوى بهما التقوية على الطاعة ، والنوم اذا قصد به ترويح البدن للعبادة ، والوطء اذا أراد به التعفف عن الفاحشة كما قال عليه الصلاة والسلام **في بضع أحدكم صدقة** الحديث ٠٠

وفى سياق هذا الأسلوب البليغ ندرك أن تأكيد الجملة الأولى بالثانية لم يكن عبثا لان ذلك تنبيه على شرف الاخلاص وتحذير من الرياء المانع من الاخلاص ٠

كما نلاحظ أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل فهجرته اليهما ، وان كان ذلك أخصر بل أتى بالظاهر فقال فهجرته الى الله ورسوله ، لأن من آدابه فى تعظيم اسم الله عز وجل أن لا يجمع مع ضمير غيره ٠

هذا ويمكننا أن ندرك فى ذلك التنبيه وزيادة التحذير فى التنصيص على المرأة مع أنها داخلة فى مسمى الدنيا وهذا من باب ذكر الخاص بعد العام كما ورد فى قوله تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) كما أنه فيه جانب تغليب آخر بالنص ء لىالمرأة وترك الرجل اذ أن الأمر بالنسبة لها كذلك لو هاجرت لكى تتزوج برجل فى دار الهجرة ٠ هذا وللهجرة أقسام عدها بعضهم خمسة وهى :

١ ـ الهجرة الى أرض الحبشة ٠

٢ ـ الهجرة الكبرى من مكة الى المدينة المنورة ٠

٣ ـ هجرة القبائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

٤ ـ هجرة من أسلم من أهل مكة ولحقاهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ٠

٥ ـ هجرة ما نهى الله ٠

واستدرك عليه بثلاثة وهى :

١ ـ الهجرة الثانية الى أرض الحبشة ٠

٢ - هجرة من كان مقيما فى بلاد الكفر ولا يقدر على اظهار الدين فانه يجب عليه أن يهاجر الى بلاد الاسلام ٠

٣ - الهجرة الى الشام في آخر الزمان عند ظهور الفتن لحديث عبد الله ابن عمر(١٤) ٠

توفيق فى موضوع الهجرة :

يظهر للقارىء فى موضوع الهجرة كأن هناك تعارضا في شأن انتهاء الهجرة وعدم الانتهاء فاليك أولا : بعض ما روى حول الهجرة :

روى البخارى ومسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا** ٠ وفى رواية أخرى : **لا هجرة بعد الفتح اليوم أو بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم** ٠ وأن عبيد بن عمر سأل عائشة رضى الله عنها عن الهجرة فقالت : **لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه الى الله ورسوله مخافة أن يفتن عليه ، أما اليوم فقد أظهر الله الاسلام ، والمؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهادونية** ٠

هذا وروى أبو داود والنسائى من حديث معاوية رضى الله عنه قال : « **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها** ٠

وروى أحمد من حـديث ابن مسعود مرفوعا : **لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل** ٠

اذن ما القول الفصل فى هذا ؟ فاليك بما قيل فى التوفيق بين ما ورد :

١ - يرى الخطابى بأن الهجرة كانت فى أول عهد الاسلام فرضا ، ثم صارت بعد فتح مكة مندوبا اليها غير مفروضة ٠ فالمنقطعة منها هى الفرض والباقية منها هى الندب ٠

٢ - وقال ابن الأثير الهجرة هجرتان أحدهما هى التى وعد الله عليها بالجنة ، كان الرجل يأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويدع أهله وماله ولا يرجع فى شىء منه ، فلما فتحت مكة انقطعت هذه الهجرة ، والثانية هى لمن

---

(١٤) راجع ما قيل فى ذلك ان أردت الزيادة فى عمدة القارى جـ ١ ص ٢٩ ٠

هاجر من الاعراب وغزا مع المسلمين ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى وهذه هى التى لا تنقطع حتى تنقطع التوبة ٠

٣ ـ ويرى صاحب عمدة القارىء(١٥) ان الهجرة البـــاقية هى هجرة السيئات لأن هناك ما يدل على ذلك مما رواه أحمد فى مسنده : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **الهجرة خلصتان أحدهما تهجر السيئات والأخرى تهاجر الى الله ورسوله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت طبع الله على كل قلب بما فيه ، وكفى الناس العمل ٠**

وكما روى **الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منهـــا وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ثم أنت مهاجر وان مت بالخضرمة** ٠ وهى أرض باليمامة ، ونحن نميل الى هذا الرأى نظرا لقوة أدلته وقرب معانيه ٠

الاستنباط :

١ ـ يؤخذ من الحديث وجوب النية فى الأعمال التعبدية كالوضوء والصوم والصلاة مما تطلب النية فيه ويدخل فى ذلك الطلاق لأنه اذا قورنت الكناية كانت كالتصريح ، وقال البيضاوى الحديث متروك الظاهر لأن الذوات غير منفية ، والمراد به نفى أحكامها ، كنفى صحة الأعمال ، وذلك لأنه معلوم أن الذوات لا تنفى لذا لزم أن ينصب النفى على الصفات ٠ ويظهر ذلك عندما نلاحظ القصر الواقع فى الحديث ، والمعنى : ما الأعمال محسوبة لشىء من الأشياء كالشروع فيها والتلبس بها الا بالنيات ، وما خلا عنها لم يعتد به(١٦) ٠ هذا وقد ذهب بعض العلماء ، الى عدم ضرورة النية فى بعض الأعمال منها الطهارة وصيام رمضان لغير المسافر ، وحملوا النية على الكمال والحصول على الثواب من الأعمال ، لأن كثيرا من الأعمال يوجد ويعتبر شرعا بدون نية ٠ ونحن نرى أنه لا قيمة للعمل اذا كان خاليا من الثواب اللهم الا رفع التكليف، وذلك لأن جملة **لكل امرىء ما نوى** تعنى للانسان ما نواه فاذا لم ينو لا يكون له شىء بالتالى ، والله أعلم ٠

٢ ـ منه أخذ مالك الاكتفاء بنية واحدة فى صيام شـــهر رمضان وقال غيره لابد من نية لكل يوم ٠

---

(١٥) عمدة القارى جـ ١ ص ٣٠ ٠

(١٦) راجع شروح البخارى ان أردت الزيادة ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ٠

٣ ـ يؤخذ من هذا الحديث الرد على المرجئة فى قولهم الايمان اقـــرار باللسان دون الاعتقاد بالقلب ٠

٤ ـ فيه دليل على عدم صحة العبادة من المجنون لانه ليس من أهـــل النية ، وكذلك العقود كالبيع والهبة والنكاح والطلاق واللعان ٠

٥ ـ فيه جواز ايراد الأحاديث أثناء الخطبة وقـد فعل ذلك الخلفـــاء الراشدون رضى الله عنهم ٠

سبب ورود الحديث :

اشتهر بينهم أن سبب الحديث هو قصة مهاجر أم قيس ممـــا رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن أبى وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : **كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس وأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر فتزوجها ، فكنا نسميه مهاجر أم قيس ٠**

هذا وقد وردت اختلافات كثيرة فى لفظ هذا الحديث يكفى أن نشير فى ذلك الى ما ورد فى أوله من طرق فقد قيل : **انما الأعمال بالنيات و الأعمال بالنية ٠ و العمل بالنية ٠ و انما الأعمال بالنية ٠ و الأعمال بالنيات ٠ الى غير ذلك ٠**

ينبغى أخيرا الاشارة الى ما قاله بعض الأئمة فى أهمية هذا الحديث(١٧) فقد قيل انه ثلث الاسلام وقيل ربعه ، وقال الشافعى يدخل فيه سبعون بابا من الفقه ، والسبب فى ذلك أن هذا الحديث متضمن النية والاسلام : قول وفعل ونية ـ والله أعلم ٠

---

(١٧) راجع شرح الشبرخيتى ص ٥١ وعمدة القارى جـ ١ ص ٢٥ وشروح البخارى ص ٣٤ وما بعده ٠

الحـديث الثـانى

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس ، فأتاه جبريل فقال ما الايمان ؟ : قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث ، قال ما الاسلام ؟ قال : الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان ، قال : ما الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال: متى الساعة؟ قال ما المسئول عنها بأعلم منالسائل، وسأخبرك عن اشراطها • اذا ولدت الأمة ربها ، واذا تطاول رعاة الابل البهم فى البنيان• فى خمس لا يعلمهن الا الله ، ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم : (ان الله عنده علم الساعة ••)(١) الآية ، **ثم ادبر ، فقال ردوه • فلم يروا شيئا ، فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم •**

أخرجه البخارى فى كتاب الايمان وكتاب العلم وكتاب الأحكام وفى فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وفى التفسير وفى الرقاق والزكاة مختصرا ومسلم فى الايمان والبر وابن ماجة فى المقدمة وفى الفتن مختصرا • وأبو داود فى السنة • والنسائى فى الايمان وفى الفتن مختصرا• والترمذى فى الايمان • فنظرا لكثرة تنوع رواية هذا الحديث أرى أنه من المستحسن أن نذكر رواية عمر بن الخطاب لجمعها الكثير من هذه الأنواع واليك بها حسب ما ورد فى الأربعين النووية وصحيح مسلم •

عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخديه وقال : يا محمد أخبرنى عن الاسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا

---

(١) سورة لقمان آية ٣٤ •

رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضـــان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا • قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرنى عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره • قال صدقت ، قال فاخبرنى عن الاحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، قال فاخبرنى عن الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال فاخبرنى عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون فى البنيان ثم انطلق ، فلبثت مليا ، ثم قال : يا عمر أتدرى من السائل ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم •

من رجال الحديث : أبو هريرة •

أبو هريرة هذا إختلف فى اسمه واسم أبيه ، على نحو ثلاثين قـــولا وأقربها : ان اسمه عبد الله أو عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، وهو أول من كنى بهذه الكنية وكناه النبى صلى الله عليه وسلم بذلك عندما رأى فى كمه هرة فقال : يا أبا هريرة ، وقيل كناه أبوه لهرة كان يلعب بها •

وكان عريف(٢) أهل الصفة ، أسلم عام خيبر بالاتفاق وشهدها مـــع رسول الله صلى الله عليه وسلم : وروى انه قال كان يسمى فى الجـــاهلية عبد شمس وسمى فى الاسلام عبد الرحمن ، واسم أمه ميمونة قيل أميمة وقد أسلمت بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم •

قال أبو هريرة نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان خادما لها ، فزوجنيها الله فالحمد لله الذى جعل الدين قواما وجعل أبا هريرة **اماما** •

وهو أكثر الصحابة رواية للحديث بالاجماع روى له خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا • وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع •

---

(٢) كلمة عريف تجمع على عرفاء وهى فعيل بمعنى فاعل وهـــو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلى أمورهم ، ويتعرف الأمير منه أحـــوالهم • راجع النهاية لابن الأثير • مادة (عرف) •

وهو أزدى دوسى مدنى كان ينزل بذى الحليفة بقرب المدينة المنورة ٠ له بها دار تصدق بها على مواليه ، وله ابن اسمه المحرر قد روى عنه ٠

مات أبو هريرة بالمدينة سنة تسع وخمسين وقيل ثمان وقيل سبع وهو ابن ثمان وسبعين ودفن بالبقيع ، أما القول بأن قبره موجود بعسقلان فلا أصل له(٣) ٠

وأبو هريرة من الأفراد ليس في الصحابة من كنى بهذه الكنية سواه الا أنه هناك من الرواة من تكنى بكنيته ، رضى الله عنه ٠

معانى المفردات :

بارزا : ظاهرا لهم وجالسا معهم ، وكلما ظهر بعد خفاء فقد برز قال تعالى : **وترى الأرض بارزة :** أى ظاهرة ليس فيها مستظل ولا متفيأ ٠ **بينما :** أصله بين فزيدت عليه **ما** : لتكفها عن العمل وهو الخفض ويجوز **بينا** : بلا ميم **وجلوس** : جمع جالس أو مصدر بمعنى جالسين ، **وعند** : بثليث العين معناه القرب حسا كما هنا أو معنى ، مثل قوله تعالى : (وعنده أم الكتاب) ، ولا يدخل عليه من حروف الجر الا **من**(٤) ٠

ذات يوم : جمعه أيام وأصله **أيوام** : أما ، **ذات** : فهو مؤنث ٠ **ذو** : بمعنى صاحب والذى أجاز اضافة ذات الى يوم المذكر هو التقدير اذ معناه **فى ساعة ذات مدة من يوم :** فحذف ذلك لظهور المعنى المراد(٥) **رجل :** أى جبريل فى صورة رجل والتنوين للتعظيم ٠ **شديد سواد الشعر :** أى شعر اللحية كما ورد فى رواية أخرى ٠

أثر السفر : أى علامته من غبرة وشعوثة ٠ **فأسند** : أى ألصق **كفيه** : تثنيه كف وهى الراحة مع الأصابع سميت به لانها تكف الأذى عن البدن ٠ **فخذيه :** أى فخذى النبى صلى الله عليه وسلم وأراد بذلك المبالغة فى تعمية أمره ليقوى الظن انه من جفاة الاعراب ، لأن الصحابة رضى الله عنهم استنكروا هيئته وجلوسه ، يا **محمد :** خاطبه به مع انه يحرم نداؤه صلى الله عليه وسلم

---

(٣) عمدة القارى جـ ١ ص ١٢٤ ٠

(٤) وكسر فائها أكثر من ضمها وفتحها ٠ راجع مغنى اللبيب جـ ١ ص ١٥٦ ٠

(٥) راجع شرح الشبرخيتى ص ٦٤ ٠

باسمه ، اما لأنه كان قبل التحريم واما لأن الحـــرمة مختصة بالآدميين دون الملائكة ، واما جريا على عادة العرب لمزيد من التعمية(٦) · والمنع جاء فى الآية الكريمة **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا**(٧) ·

ملائكة : جمع ملك ، وأصله **ملأك** : مفعل من الألوكة بمعنى الرسالة زيدت التاء لتأكيد معنى الجمع أو لتأنيث الجمـــع · **والملائكة** أجسام علوية نورانية متشكلة بما شاءت من الأشكال · تقدر على أفعال شاقة لا يقدر عليها البشر ، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد ورد : أن لله ملكا يملأ ثلث الكون وملكا يملأ ثلثيه وملكا يملأ الكون كله ، وقد ورد فى عظم الملائكة ما هو فوق ذلك ، ولا يقال اذا ملأ الملك الواحد الكون كله أين يكون الآخرون · لأننا قلنا انهم نورانيون والأنوار لا تتزاحم ، ألا ترى أن سراجا واحدا يملأ البيت نورا ولو أتينا بعد ذلك بألف سراج لوسع البيت تلك الأنوار ، والملائكة ليسوا ذكورا ولا اناثا ولا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يفترون(٨) ·

بلقائه : قال الخطابى أى برؤيته تعالى فى الآخرة ورسله ، الرسول هو النبى المرسل الذى أنزل عليه كتاب أو ملك ، والنبى بخلافه ، وكل رسول نبى ولا عكس ، **اليوم الآخر :** وهو من وقت الموت أو الحشر الى ما لا يتناهى أو الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وسمى بذلك لأنه آخر الأوقات المحدودة ، أو لأنه لا ليل بعده وقيل لأنه آخر أيام الدنيا فالمراد هو الايمان بما فيه ، **بالبعث** : هو بعث الموتى من القبور ·

الاسلام : لغة الدخول فى المسلم أى الانقياد والاذعان · وشرعا الانقياد الى الأعمال الواجبة الظاهرة كما بين ذلك صلى الله عليه وسلم ·

تقيم الصلاة : اقامة الصلاة هو تعديل أركانها أو حفظها من الزيغ ، أو الدوام عليها والمحافظة ، والصلاة : لغة الدعاء قال تعالى : (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) الآية(٩) · أى دعواته · وقال تعالى (وصل عليهم) أى ادع لهم ، وكان صلى

---

(٦) راجع نفس المرجع ص ٦٦ ·
(٧) سورة النور آية ٦٣ ·
(٨) الشبرخيتى ص ٧٣ ·
(٩) سورة التوبة الآية ٩٨ ·

الله عليه وسلم اذا جاء الناس بصدقاتهم يدعو لهم · وشرعا : هو قربة : فعلية ذات احرام وتسليم وسجود ، فيدخل سجود التلاوة وصلاة الجنازة · اختلف فى اشتقاق الصلاة قيل انها من **الصلوين** : وهما عرقان فى الردف عن يمين الذنب وشماله ينحنيان فى الركوع والسجود ولذلك كتب الصلاة فى المصحف الشريف بالواو وقيل هى من **صليت العود** : اذا قومته(١٠) لأن الصلاة تحمل الانسان على الاستقامة وتنهاه عن المعصية ، قال تعالى : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)(١١) ، وقيل انها مأخوذة عن **الصلة** : لانها تصل بين العبد وخالقه بمعنى انها تدنيه من رحمته وتوصله الى كرامته وجنته · والصلاة فرضت فى السماء ليلة المعراج بخلاف غيرها من الشرائع · **وتؤدى الزكاة** : وهى لغة النمو والزيادة لا نها تنمى المال بالبركة وتطهر المال من الخبائث الحسية والمعنوية ونفس المزكى من رذيلة البخل · **وتصوم رمضان** : الصوم لغة : الامساك والكف عن الشيء ومنه قولهم صام النهار اذا انتصف لبطء مشى الشمس كانها غير متحركة وصام الفرس قلم من غير اعتلاف · وشرعا : امساك عن شهوتى الفم والفرج أو ما يقوم مقامها مخالفة للهوى فى طاعة المولى فى جميع أجزاء النهار بنية قبل الفجر · والذى يقوم مقام الفم والفرج هو الأنف واللمس الموجب للفطر(١٢) · فرض الصوم فى السنة الثانية من الهجرة · **تحج البيت** : الحج لغة القصد ، قال الخطـــابى القصد مع التكرار واصطلاحا : هى عبادة يلزمها وقوف بعرفة ليلة عاشر ذى الحجة وحده بزيارة وطواف ذى طهر اخص بالبيت عن يساره سبقا بعد فجر يوم النحر والسعى بين الصفا والمروة ومنه اليها سعيا بعد طواف ·

سبيلا : السبيل يذكر ويؤنث من ذلك قوله تعالى : (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا)(١٣) وقوله تعالى : (قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة)(١٤) · والسبيل هو الطريق · **الايمان** : لغة مطلق التصديق سواء كان مطابقا للواقع أم لا ، سواء تعلق بحكم أم لا · **واصطلاحا** : تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما علم مجيئه من الـــدين بالضرورة تفصيلا فى التفصيلى واجمالا فى الاجمالى · ينبغى أن يعلم المراد أن المراد بالتصديق هو

---

(١٠) شرح الشبرخيتى ص ٦٩ ·
(١١) سورة العنكبوت الآية ٤٥ ·
(١٢) شرح الشبرخيتى ص ٧٠ ·
(١٣) سورة الأعراف آية ١٤٦ ·
(١٤) سورة يوسف آية ١٠٨ ·

الاذعان والقبول لا مجرد نسبة الصدق له صلى الله عليه وسلم ، لأن كثيرا من الكفارة كانوا يعرفن حقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم الا أنهم لم يذعنوا ولم يقبلوا ما جاء به صلى الله عليه وسلم ٠

قال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أنباءهم)(١٥)، **كتبه** : جمع كتاب وهو لغة : ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض وهو مصدر كتب ، **واصطلاحا** ما أنزل الله على الأنبياء اما مكتوبا على الألواح أو مسموعا من وراء حجاب أو من ملك شاهد ٠ قيل أن جملة الكتب المنزلة مائة وأربعة عشر كتابا(١٦) ٠ وخص الايمان بها لأنها الكلام الأزلى القديم القائم بذاته ٠ منها التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على دواد والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم ٠ **بالقدر خيره وشره** : خير القدر هو الطاعة ، وشره المعصية ٠ **الاحسان** : مصدر أحسن وهو ضد القبح ، وحسن العبادة الاخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ٠ والفعل **أحسن** : يتعدى بنفسه مثل أحسنت كذا اذا اتقنته وبالحرف مثل أحسنت اليه اذا أوصلت اليه النفع ٠ والمذكور هنا هو المتعدى وهو اتقان العبادة ٠ والاخلاص فى العبادة هو تمييزه من الرياء وترك حب المدح على العمل ٠

الساعة : مقدار ما من الزمن غير معين ولا محدود ، وفى عرف أهل الميقات جزء من أربع وعشرين جزأ من أوقات الليل والنهار ٠ وفى عرف أهل الشرع عبارة عن القيامة وهو المراد هنا ، وأصلها سوعة قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وسميت ساعة مع طول زمانها ، اما لأنها تقع بغتة فتموت الخلق كلهم بصيحة واحدة قال تعالى : (ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون)(١٧) أى يتخاصمون فى متاجرهم ، ومعاملاتهم٠ واما لسرعة حسابها ، واما تسمية للكل باسم البعض ، واما لأنها مع طولها هى عند الله كساعة ، واما لأن طولها على الكفار أما المؤمنون فانها تكون عليهم كساعة لحديث أبى سعيد الخدرى قال ، **قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فقلت ما أطول هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه**

---

(١٥) سورة البقرة آية ١٤٦ وسورة الأنعام آية ٢٠ ٠

(١٦) شرح الشبرخيتى ص ٧٥ ٠

(١٧) سورة يس آية ٤٩ ٠

من صلاة المكتوبة التى يصليها فى الدنيا اهـ · نسأل الله أن يخففها علينا ·

عن اشراطها : جمع شرط وهو بالتحريك يعنى علاماتها · أى علاماتها السابقة لعلاماتها المقارنة لأنها على قسمين مقارنة وغير مقارنة المقارنة كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة ·

ربها : الرب المالك والسيد والمصلح ورب كل شيء ما لكه والرب اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال فى غيره الا بالاضافة يقال هى ربة البيت وهن ربات الحجال ·

هذا وقد اختلف فى معنى **أن تلد الأمة ربها أو ربتها** واليك ببعض ما قيل فى ذلك :

١ ــ انه كناية عن كثرة السرارى وسبى الكفار حتى تلد السرية ابنا أو بنتا لسيدها فيكون ولد سيدها كأبيه ، لأن قوة الاسلام وبلوغ غايته منذر بالتراجع والانحطاط · وتعقب هذا بأنه كان موجودا فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، والسياق يقتضى وقوع ما لم يقع ·

٢ ــ أنه كناية عن كون الأرقاء يلدن الملوك فتكون أم الملك من جملة رعيته هو سيدها وسيد غيرها ، الا أن رواية **ربتها** بالتأنيث لا تساعد هذا المعنى لندرة كون الأنثى ملكة ·

٣ ــ ان ولد أم الولد لما كان سببا فى عتقها بموت أبيه أطلق عليه ذلك مجازا وهذا أيضا كان موجودا ومشاهدا ·

٤ ــ انه كناية عن كثرة عتوق الأولاد لأمهاتهم فيعاملونهم معاملة السيد امته عن الاهانة والسب ، وأطلق عليها ربها مجازا لذلك ·

٥ ــ المراد بالرب المربى فيكون حقيقة ، قال الحافظ ابن حجر وهذا أوجه الأوجه عندى لعمومه ، ومحصله أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربى مربيا والعالم متعلما والسافل عاليا(١٨) ·

---

(١٨) ان أردت الزيادة راجع شرح الشبرخيتى ص ٨١ ·

العالة : أى الفقراء جمع عائل وهو من عال اذا افتقر ، والألف فى العالة منقلبة عن ياء اذ الأصل **عيلة** قال تعالى :

(وان خفتم عيلة) ، **رعاء** بكسر الراء جمع راع ويجمع أيضا بضم الراء مع هاء فى الآخر كقضاة جمع قاض وعلى رعيان ٠

والشاء : من الجمع الذى يفرق بينه وبين مفرده بالهاء ٠ كالبقر والبقرة، وفى رواية مسلم **رعاء البهم** بفتح الباء جمع بهيمة وهى صغار الضأن والمعز ، والواحدة بهمة للذكر والأنثى والجمع بهم وجمعه بهام ، وقيل هؤلاء بقر الوحش **والبهم** بضم الباء لا غير هو الذى لا شية له وجمعه أبهم ، وقيل الأسود الذى لا يخالطه لون آخر(١٩) ٠ **يتطاولون فى البنيان** أى يتفاخرون بطول البنيان وكثرته ٠

ثم أدبر أى ثم ولى ٠ **مليا :** أى زمنا طويلا ومنه **واهجرنى مليا** ٠ أى بعد ثلاثة ليال فى حديث عمر ، لا ينافى ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم طلب احضاره فى نفس المجلس لأن عمر لم يحضر قول النبى صلى الله عليه وسلم بل يجوز أن يكون قد قام اما مع الذين توجهوا فى طلب الرجل أو لشغل آخر ، ولم يرجع مع من رجع لعارض فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم الحاضرين فى الحال ولم يتفق الأخبار لعمر الا بعد ثلاثة(٢٠) ٠ ومادة **مليا** مأخوذة من الملاومة وهى طول المدة ويقال لليل والنهار الملوان **وقوله : الله ورسوله أعلم** فيه حسن مزيد الأدب الذى كان عليه الصحابة معه صلى الله عليه وسلم ، لأن رد العلم الى الله والى الرسول أكثر تأدبا من القول **لا نعلم** ٠ وفى أتاكم يعلمكم أمور دينكم لأن المعلم فى الحقيقة هو الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ ويستفاد من ذلك أن الدين هو مجموع الاسلام وحده فى قوله تعالى : (ورضيت لكم الاسلام دينا) ٠

الأعراب :

بارزا خبر كان **ويوما** منصوب على الظرفية ٠ **وما الايمان** مبتدأ وخبر والجملة الاسمية مقول قول ــ والمصدر من **أن تؤمن** واقع خبر المبتدأ وهو الايمان ٠ **وأن تعبد الله** فى محل رفع خبر المبتدأ وهو الاسلام ٠

---

(١٩) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٨٦ ٠

(٢٠) راجع الشبرخيتى ص ٨٤ ٠

وشيئا منصوب على المفعولية **لتشرك** · **وتشرك وتقيم** منصوبان عطفا على (أن تعبد) وكذا تؤدى وتصوم وان مقدرة فيها · **وما الاحسان** مبتدأ وخبر والالف واللام للعهد لأن الله تعالى يقول (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(٢١) و (هل جزاء الاحسان الا الاحسان)(٢٢) · و (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين)(٢٣) ونسأل الله أن يجعلنا من المحسنين لنكون من الذين يحبهم سبحانه وتعالى · **كأنك تراه** كأنك جار ومجرور حال من الفاعل فى أن تعبد الله قيل ان الأصل فى كأن زيدا أسدا · ان زيدا كأسد · ثم قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت همزة أن لدخول الجار(٢٤) ·

لم تكن تراه كان واسمها وخبرها ، جملة الشرط وجواب الشرط محذوف تقديره **فأحسن العبادة فانه يراك** ولم يكن **فانه يراك** جوابا للشرط ، لأنه ليس مسببا عنه ، لأنه ينبغى أن يكون فعل الشرط سببا لوقوع الجزاء ، بمعنى أن عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالى ، لأن رؤية الله متحققة على كل الأحوال ، **أما الفاء** : فانه للتعليل ·

ما المسئول ما عاملة عمل **ليس** المسئول اسمها **بأعلم** خبرها والباء زائدة لأجل تأكيد معنى النفى · و **سأخبرك** السين لتأكيد الوعد بالأخبار لا للتسويف ، فهو كما فى قوله تعالى :

﴿ **فسيكفيكهم** الله وهو السميع العليم)(٢٥) فمعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين ·

اذا ولدت الأمة قال **اذا** ولم يقل **ان** لأن الشرط محقق الوقوع **واذا** تفيد الجزم بوقوع مدخولها لهذا يجوز أن يقال اذا قامت القيامة كان كذا وكذا ولا يجوز أن يقال :

ان قامت القيامة كان كذا ، وجزاء الشرط محذوف تقديره **اذا ولدت** الأمة فهى أن الولاة من أشراطها ·

---

(٢١) سورة يونس آية ٢٦ ·
(٢٢) سورة الرحمن آية ٦٠ ·
(٢٣) سورة البقرة آية ١٩٥ ·
(٢٤) راجع مغنى اللبيب ان أردت الزيادة ج ١ ص ١٩١ ·
(٢٥) سورة البقرة آية ١٣٧ ·

والبهم بالرفع صفة للرعاة ، ويكون معنى البهم السود بمعنى مجهولون الذين لا يعرفون ، ومنه ابهم الأمر فهو مبهم - وبالجر على أنه صفة لابل ، الابل السود ويقال انها شر الابل(٢٦) - **فى خمس** فى محل رفع خبر مبتدأ محذوف تقديره علم وقت الساعة فى جملة خمس **لا يعلمهن الا الله** صفة الخمس ، **الآية** يجوز رفع الآية على أنها مبتدأ والخبر محذوف أى الآية مقروؤة الى آخرها ٠

ويجوز نصبها على تقدير عامل محذوف أى اقرأ الآية ٠ **يعلم الناس** جملة حالية ٠

أخيرا اليك باعراب كلمة الشهادة كما هى فى الحـــديث : **أن** مصدرية **تشهد** منصوب بأن - والمصدر مبتدأ ، **وأن** مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف أى أن الشأن ، **لا اله** لا نافية للجنس **واله** اسمها مبنى على الفتح ، وخبرها محذوف تقديره **موجود أو فى الوجود** ، وربما لوحظ هنا تساؤل : وهو كيف تكون نافية للوجود ؟ مع أنه معلوم أن نفى الوجود لا يستلزم نفى الامكان بخلاف العكس ؟ **فالجواب من ثلاثة أوجه :**

الأول : أنه قدروا الوجود هنا لأنه الذى ادعاه المشركون فأثبتوا وجود آلهة متعددة ، فقوله تعالى : فاعلم أنه لا اله الا الله نفى لدعواهم ٠

الثانى : أن لا لنفى الجنس وهى موضوعة فى الأصل لنفى الوجود لا لفى الامكان فهى مستعملة فى وضعها الأصلى ٠

الثالث : ان نفى الوجود هو المحصل للتوحيـــد صراحة لأنه لو قدر **ممكن** لزم أن المثبت فى (لا اله الا الله) هو الامكان فلا يحصل التوحيـــد بالصراحة لذا اختير تقدير الوجود دون غيره ٠

والا أداة استثناء ولفظ الجلالة مرفوع على أنه بدل من الضمير المستتر فى الخبر ٠ وهذا هو الأصح ، وقيل انه بدل من محل **لا مع اسمها** لأن محلها الرفع على الابتداء وقيل غير ذلك (وان محمدا رسول الله) الواو للعطف **ان** أداة نسخ **محمدا** اسم أن رسول الله خبرها(٢٦) ٠

---

(٢٦) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٨٧ ٠

(٢٦ مكرر) راجع شرح الشبرخيتى ص ٦٨ ٠

البلاغة :

١ ـ **هناك ايجاز** بالحذف فى **ذات يوم** وقد مر شرح ذلك ٠

٢ ـ **فى طلع** استعارة تبعية حيث شبه ظهور الرجل بطلوع الشمس اشعارا بتعظيمه ورفعة قدره ثم اشتق من الطلوع طلع على سبيل الاستعارة التبعية ويمكن أن تجرى على انها استعارة مكنية ، بأن يقال ان الرجل شبه بالشمس ثم حذف المشبه به وأثبت لازمه للشبه على سبيل الاستعارة بالكناية واثبات اللازم هذا هو المسمى بالاستعارة التخييلية ٠

٣ ـ استعارة أخرى تصريحية فى اقامة الصلاة حيث شبه اقامة الصلاة باقامة العود على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ٠ والمقصود باقامة الصلاة هو الدوام عليها فيكون فى العبارة كناية ٠

٤ ـ اعادة العامل فى **وتؤمن باليوم الآخر** وذلك لنكتة الاهتمام بالمذكور أو لطول العهد ٠

٥ ـ وهناك تشبيه فى أن تعبد الله كأنك تراه بينا تقديره فى شرح المفردات ، وهو **الاحسان** ومعناه عبادتك الله تعالى حال كونك فى عبادتك مثل حال كونك رائيا ٠

٦ ـ وفى اذا ولدت الأمة ـ الى آخره كناية عن انقلاب الأحوال وتغير الزمان ٠

٧ ـ وفى التطاول فى البنيان كناية عن تبدل الحال بأن يستولى أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر فتنصرف الهمم الى تشييد البنيان والتفاخر به ٠

٨ ـ فى الحديث قصر فى قوله :

لا يعلمهن الا الله ، عن طريق النفى والاستثناء وكذلك فى الآية (ان الله عنده علم الساعة) الآية وذلك عن طريق تقديم **عنده** على **علم الساعة** ٠

٩ ـ وفى تقديم **اليه** على **سبيلا** حصر فى قوله **من استطاع اليه سبيلا** وتنكير سبيلا جاء للعموم بمعنى سبيل غير مقيدة بنوع خاص ٠

المعنى وما يستنبط من الأحكام :

قيل أن سبب ورود هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : **سلونى فهابوا أن يسألوه** فجاء الرجل أى جبريل وسأله صلى الله عليه وسلم ليعلم الصحابة رضوان الله عليهم كيفية سؤاله صلى الله عليه وسلم ٠

وهذا الحديث قد اشتمل على كثير من قواعد الدين حتى وصف بأنه ثلث الدين الاسلامى أو ربعه قال القرطبى هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة لما تضمنه من جملة علم السنة متجنبا لاطالة الكلام وقيل انه يشتمل على شرح الدين كله ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم(٢٧) ٠ نذكر بعضا مما يؤخذ منه :

١ ـ انه بين لنا أن الايمان هو أن يؤمن العبد بالله وملائكته وبلقائه أو كتبه ورسله ، ويؤمن بالبعث النشور ٠

٢ ـ والاسلام أن يعبد العبد الله تعالى ولا يشرك به شيئا ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة المفروضة ويصوم رمضان ٠ وورد فى بعض الروايات **فاذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال نعم** وهذا يدل على أن من أكمل الاتيان بمبانى الاسلام الخمس صار مسلما حقا ، مع أن من أقر بالشهادتين صار مسلما حكما ، فاذا دخل فى الاسلام بذلك ألزم بالقيام ببقية خصال الاسلام ومن ترك الشهادتين خرج من الاسلام(٢٨) ٠

٣ ـ أن الاحسان هو أن يحسن العبد عبادته لله فيعبده كأنه يراه حين يعبده لأنه مطلع على العبد وان كان العبد لا يراه ٠

٤ ـ ويفهم من قوله صلى اللهعليه وسلم **هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** أنالدين يشمل الايمان والاسلام لانه التصديق والعمل ٠ واسم الايمـــان يتناول ما فسر به الاسلام وسائر الطاعات لانها ثمرات للتصديق الباطن الذى هو أصل الايمان واسم الاسلام يتناول أيضا ما هو أصل الايمان وهو التصديق الباطن ويتناول الطاعات لان كل ذلك استسلام ، فهما يجتمعان ويفترقان ٠

---

(٢٧) جامع العلوم والحكم ص ٢٢ ٠

(٢٨) نفس المرجع ص ٢٣ ٠

٥ - فى الحديث بيان عظم محل الاخلاص ومراقبة العبد لأوامر خالقه ٠

٦ - فيه لا أدرى والاعتراف بعدم العلم وأن ذلك لا ينقصه ولا يزيل ما عرف من جلالته بل ذلك دليل على ورع القائل وتقواه ووفور علمه وعدم تبجحه بما ليس عنده ٠

٧ - فيه دليل على تمثل الملائكة بأى صورة من صور بنى آدم كما ورد فى قوله تعالى : **فتمثل لها بشرا سويا** فقد كان جبريل يأتيه بصورة دحيـــة ولم يره النبى عليه السلام فى صورته التى خلق عليها غير مرتين ٠ ودحية بفتح الدال وكسرها واختلف فى الأرجح ٠ وهو دحية بن خليفة بن مروة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس بن الخزرج بن عامر وكان دحية رضى الله عنه من أجمل الناس وجها أسلم قديما ولم يشهد بدرا وشهد المشاهد بعد بدر مع رسول الله صلى الله عليه**وسلم وبقى الى خلافة معاوية(٢٩)** ٠

٨ - هذه المرة هى المرة الوحيدة التى لم يتعرف النبى صلى الله عليه وسلم عليه حتى ولى لقوله فى بعض الروايات **والذى نفسى بيده ما اشتبه على مذ أتانى قبل مرتى هذه وما عرفته حتى ولى** ٠

٩ - مطابقة الأصول الخمسة المذكورة فى الايمان بما ورد فى الكتاب قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ٠٠٠)(٣٠) الآية ٠ وقوله تعالى : (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ٠٠)(٣١) الآية ٠ وقال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون)(٣٢) ٠

١٠ - ان قوله صلى الله عليه وسلم **فان لم تكن تراه فانه يراك** من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض : قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة ، من عقود الايمان وأعمال الجوارح واخلاص السرائر والحفظ من آفات الأعمال ، حتى ان علوم الشريعة كلها راجعة اليه ومتشعبة منه ٠ وقال النووى : هذا أصل من أصول الدين وقاعدة

---

(٢٩) راجع شروح البخارى ص ٩١ ٠
(٣٠) سورة البقرة آية ٢٨٥ ٠
(٣١) سورة البقرة آية ١٧٧ ٠
(٣٢) سورة البقرة آية ٣ ٠

مهمة من قواعد المسلمين ، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين ، ذلك لأن من كان كذلك لا يستبقى شيئا من الخضـــوع والاخلاص وحفظ القلب والجوارح ومراعاة الآداب فى عبادته(٣٣) ٠

اذا كان أهل الحقائق قد ندبوا الى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبس المجالس لهم بشىء من النقائض احتراما لهم واستحياء ، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه فى سره وعلانيته ٠

---

(٣٣) راجع عمدة القارى جـ ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ ٠

الحـديث الثـالث

عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم : قـــال : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ٠

رواه البخارى ومسلم فى الايمان ٠ والترمذى فى القيامة والنسائى فى الايمان ٠ وان ماجة فى المقدمة وفى الجنائز والدارمى فى الاستئذان والرقاق كما أخرجه ابن حنبل ٠

رجاله : منهم :

قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى البصرى التابعى ، مجمع فى حفظه وتوثيقه واتقانه وفضله ، ولد أعمى قال الزمخشرى يقال لم يكن فى هذه الأمة ممسوح العينين غير قتادة السدوسى توفى بواسط سنة ١١٧ وقيـل ١١٨ هـ وليس فى الكتب الستة من اسمه قتادة من التابعين غيره(١) ٠

وأنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصارى ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفا حديث ومائتا حديث وست وثمانون حديثا ، وكان رضى الله عنه أكثر الصحابة ولدا ٠ وهو الذى قالت أمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله خويدمك انس ادع الله له ، فقال : اللهم بارك فى ماله وولده ، وأطل فى عمره وأغفر ذنبه ٠ وقال انس : انه دفن من صلبه مائة الا اثنين ٠ وكان له بستان يحمل فى سنة مرتين وفيه ريحان يجىء منه رائحة المسك وقال لقد بقيت حتى سئمت من الحياة وأنا أرجو الرابعة وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة توفى عام ٩٣ هـ زمن الحجاج عن أكثر من مائة عام(٢) ٠

---

(١) شروح البخارى ص ١٣٢ ٠

(٢) عمدة القارى جـ ١ ص ١٤٠ ٠

معانى المفردات :

الايمان مر معناه فى حديث جبريل ، **المحبة** قال النووى(٣) أصلها الميل الى ما يوافق المحب ، وقد يكون الميل بما يستلذه بحواسه كحسن الصورة أو عقله كالفضل وقد يكون لاحسانه اليه ودفعه المضار عنه ، وقيل المراد هنا الاختيارى دون الطبع والقسر ، وقال العينى : المحبة فى اللغة ميل القلب الى الشيء لتصور كمال فيه • وهو من حبه يحبه بكسر العين فى المضارع(٤) •

الاعراب :

لا يؤمن لا نافيه ، **واحدكم** فاعل ليؤمن • والمعنى لا يؤمن الايمان الكامل ، أو لا يكمل ايمانه **حتى** جاره ، فهى ليست عاطفة **وان** مضمرة بعدها لذا نصب **يحب** ولا يجوز الرفع هنا لان عدم الايمان ليس سببا للمحبة • **لأخيه** متعلق بيحب • **ما يحب** ما موصولة ويحب صلتها وهى منصوبة بيحب لنفسه متعلق بالصلة •

البلاغة :

لا يخفى ما فى الحديث من الايجاز البليغ الذى يمتاز به كلامه صلى الله عليه وسلم فالمعنى فى لا **يؤمن أحدكم حتى يحب** أى الايمان الكامل أو لا يكمل ايمان أحدكم ، وكذلك فى **ما يحب لنفسه** أى ما يحبه لنفسه من الخير وحذف **المسلم** أيضا من **أخيه** أى فيه حذف فى أكثر من موضع •

المعنى :

ايمان العبد لا يكون كاملا أو لا يكمل حتى يحب لأخيه المسلم الخير الذى يحبه لنفسه ، بمعنى أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له لا عينه سواء كان ذلك فى الأمور المحسوسة أو المعنوية وليس معناه أن يحصل لأخيه ما حصل له مع سلبه عنه ، ولا مع بقائه بعينه لأن الجوهر أو العرض لا يقوم بمحلين فى آن واحد وهذا هو حب العامة أما الخواص فهو ينشأ من مطالعة شواهد الكمال لاجل الاعظام والاجلال ومراعاة حق أخيه المسلم ، وهذا يكون لله تعالى لا لاجل عرض دنيوى ، وقد تطلق المحبة لمجرد تمنى الخير لأخيه

---

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٤ •

(٤) عمدة القارى جـ ١ ص ١٤١ •

المسلم ، ومثل هذا لا يعسر الا على القلب السقيم غير المستقيم ، ومن ذلك أن يحب لأخيه الطاعات والمباحات · وكحب الخير هذا يستلزم أن يبغض المسلم الشر لأخيه لأن حب الشيء يستلزم بغض نقيضه ، هـــذا وللحديث روايات مختلفة ، فقد روى من غير لفظ **أحدكم** و **لا يؤمن يعنى أحدكم** و **لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ····** وروى فى أوله بـ **والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب ···** وورد فى مسلم(٥) لأخيه **أو لجاره** بالشك من الراوى وللنسائى **ما يحب لنفسه من الخير** كما روى **حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير** وروى **لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحب ···** الى آخره ·

والله أعلم ··

---

(٥) راجع شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٦ ، ١٧ ·

الحـديث الرابـع

عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده وفى رواية والناس أجمعين(١) ٠

أخرجه البخارى فى باب الايمان وأخرجه النسائى ومسلم فى الايمان وابن ماجة فى المقدمة ٠

من رجاله :

الأعرج وهو أبو داود عبد الرحمن بن هرمز التابعى المدنى القرشى ، وهو متفق على توثيقه مات بالاسكندرية سنة ١١٧ هـ ٠

وأبو هريرة :

وقد تقدم ذكره الحديث الثانى ٠

الاعراب :

والذى الواو للقسم **والذى** صفة لموصوف محذوف تقديره **والله الذى نفسى بيده** نفس مبتدأ ومضاف اليه وبيده خبر ، والجملة خبر للمبتدأ الأول٠ **لا يؤمن** لا نافيه يؤمن مضارع مرفوع جواب القسم **حتى** للغاية **وأكون** منصوب **بأن** مضمرة بعد حتى والمضارع لا ينصب بعد حتى الا اذا كان مستقبلا ، وان كانالاستقبال بالنسبة الى زمنالتكلم وجب النصب مثل **لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى** ٠ ولا يخفى أن هناك قصر فى **عليه عاكفين** ٠ وان كان بالنسبة الى ما قبلها خاصة فوجهان نحو **وزلزلوا حتى يقول الرسول**(٢) الآية لأن القول مستقبل بالنظر الى الزلزال لا بالنظر الى زمن التكلم **أحب**

---

(١) وراجعه فى شروح البخارى ص ١٣٤ ٠

(٢) سورة البقرة آية ٢١٤ ٠

منصوب خبر كان · وهو من أفعل التفضيل بمعنى المفعول على خلاف القياس لأن القياس أن يكون بمعنى الفاعل(٣) ·

البلاغة :

فى الكلام تأكيد بالقسم الذى ورد فى أول الحديث وهو للاهتمام حيث لم يرد ما يستدعى القسم · **اليد** بعض القوم يجرون الاستعارة فى **بيـــده** لذلك ينبغى شرح الآراء التى وردت فى ذلك ثم نبين ما نميل اليه :

الأول : رأى العلماء المفوضين هؤلاء هم الذين يفوضون الأمر فيها الى الله تعالى ويقولون وما يعلم تأويله الا الله لأنه من المتشابه ·

الثانى : هو رأى العلماء الذين يؤولون مثل هذا ويقولون المراد من **اليد** القدرة وهؤلاء يعطفون قوله تعالى **والراسخون فى العلم** على لفظ الجلالة فى قوله (ما يعلم تأويله الا الله) · يقول العينى(٤) ان أبا حنيفة ذكر أن تأويل اليد بالقدرة ونحو ذلك يؤدى الى التعطيل ، فان الله تعالى أثبت لنفسه يدا فاذا أولت بالقدرة يصير عين التعطيل ، اذن نجد أنفسنا نميل الى قول أبى حنيفة وهو القول بأنه وجب الايمان بما ذكره الله من ذلك لا ينبغى أن نشغل أنفسنا بشىء من ذلك بعد أن علمنا انه تعالى مخالف لكل ما نعرفه وكل ما يمكننا أن نتصوره لأنه تبارك وتعالى يقول **ليس كمثله شىء** فالسبيل فيه كأمثاله الايمان به على ما أراد ونكف عن الخـــوض فى تأويله(٥) وفى قوله **لا يؤمن أحدكم حتى** ···· ايجاز بالحذف أى لا يؤمن أحدكم ايمانا كاملا حتى يكون صلى الله عليه وسلم أحب اليه من كل ما ذكر فيبذل النفس والنفيس دونه · وهذا من ألوان جوامع الكلم التى أعطيها عليه الصلاة والسلام اذ أن اقسام المحبة ثلاثة وكلها تندرج تحت قوله هذا وهى :

١ ــ محبة اجلال وتعظيم مثل حب الشخص لوالده ·
٢ ــ محبة رحمة واشفاق مثل تلك المحبة التى يكنها الوالد لولده ·
٣ ــ محبة مشاكلة واستحسان مثل الحب الذى يوجد بين الناس بعضهم لبعض ·

---

(٣) عمدة القارى جـ ٢ ص ١٤٥ ·
(٤) عمدة القارى جـ ١ ص ١٤٥ ·
(٥) راجع شروح البخارى ان أردت ص ١٣٤ ·

ولا شك انه صلى الله عليه وسلم فيه كل ذلك وفوقه بل وحبه يشمل نصرة سنته وشريعته وتمنى حضور زمن حياته ليبذل الانسان نفسه وماله دونه صلى الله عليه وسلم ٠

بهذا يظهر لنا أن حقيقة الايمان لا يكون كاملا الا بتحقيق اثافة قدره صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل ما سواه ، الا أنه ينبغى أن نلاحظ اعتقاد وجوب تعظيمه واجلاله صلى الله عليه وسلم من صميم الاسلام لان من لا يعظمه ولا يجله يكون خارجا من دائرة الاسلام غير أن هذا ليس هو المقصود بهذا الحديث ، لأنه ليس بمحبة ولا مستلزما لها ، الا أن كل من آمن ايمانا صحيحا لا يخلوا من تلك المحبة ، وقد قال عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وما كان أحد أحب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل فى عينى منه وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه اجلالا له ٠

وان عمر رضى الله عنه لما سمع هذا الحديث قال يا رسول الله أنت أحب الى من كل شيء الا من نفسى ، فقالومن نفسك يا عمر ، فقال ومن نفسى ، فقال : الآن يا عمر ، ولا شك ان هذا الحب يتفاوت الناس فيه قال تعـــالى **فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه** ولا شك ان حظ الصحابة رضى الله عنه من هذا المعنى أتم اذ أن المحبة ثمرة للمعرفة وهم بقدره ومعرفة منزلته أعلم ، والله أعلم ٠

هذا وقد يلاحظ أن نفس الانسان لم تذكر مع أن الله تعالى يقول : **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم** والسبب فى ذلك هو أن الوالد والولد أعز من نفس الانسان عليه وأن ذكرهما هو على سبيل التمثيل والاكتفاء ولفظ الوالد يتناول الأم كما أن لفظ الولد يتناول البنت فقد اكتفى فى كل ذلك بذكر واحد عن الثانى على سبيل قوله تعالى **سرابيل تقيكم الحر** أى والبرد ويلاحظ ان الوالد قد قدم على الولد وذلك لأن لكل انسان والد وقد لا يكون ولد وقد يكون التعظيم هو الداعى للتقديم وحيث قدم الولد كان النظر الى جانب الشفقة ٠

هذا وروايات هذا الحديث كثيرة مختلفة : منها **والناس أجمعين** و **من أهله وماله** و **لا يؤمن أحد** و **لا يؤمن رجل** ٠ راجعه فى مواقعه ٠

والله أعلم ٠

الحـديث الخـامس

عن عطاء بن يسار(١) عن أبي سعيد الخدري(٢) قال : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا أسلم العبد فحسن اسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها ، وكان بعد ذلك القصاص ، الحسنة بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف ، والسيئة بمثلها ، الا أن يتجاوز الله عنها ٠

أخرجه البخارى فى الايمان والنسائى فى الايمان كما أخرجه أحمد بن حنبل ٠

معانى المفردات :

فحسن اسلامه معناه الدخول فيه بالظاهر والباطن أى دخل فيه حقيقة ، أو أن معناه هو ما جاء فى حديث جبريل **الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه** فأريد مبالغة الاخلاص لله تعالى بالطاعة والمراقبة له ٠

يكفر الله هو التغطية فى المعاصى كالاحباط فى الطاعات ٠ وقـال الزمخشرى التكفير اماطة العقبات من المستحق بثواب أزيد أو توبة ٠ اذن الاماطة والعقاب سببان للتوبة وزيادة الثواب ٠

زلفها : قربها قال ابن سيدة زلف الشىء قدمـه والصحاح **الزلف** : التقديم وتزلفوا وازدلفوا أى تقدموا ، ورويت زلف بلا ألف وأزلف بها ٠ وروى الحديث بلفظ **ما من عبد يسلم فيحسن اسلامه الا كتب الله كل حسنة أزلفها ومحى عنه كل خطيئة أزلفها ٠** وللنسائى مثل ذلك ٠

---

(١) هو أبو محمد عطاء بن يسار المدنى الهلالى مولى ميمونة أم المؤمنين سمع خلائق من كبار الصحابة وروى عنه جماعات من التابعين توفى سنة أربع وتسعين وقيـل ثلاث أو أربع ومائة ٠ راجع شروح البخارى ص ١٧٨ وعمدة القارى جـ ١ ص ٢٠١ ٠

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان الأنصارى استصغر يوم أحد فرد وغزا بعد ذلك اثنتىعشرة غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد أبوه يوم أحد وروى له ألف حديث ومائة وسبعون حديثا توفى بالمدينة سنة ٦٤ وقيل ٧٤ ٠ راجع عمدة القارى جـ ١ ص ١٦١ ٠

كتب الله أى أمر أن يكتب . لأنه روى بلفظ : **يقول الله للملائكته اكتبوا .**
القصاص : هو القود . وقال العينى المراد به هنا : مقابلة الشىء بالشىء . ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا .

ضعف : ضعف الشىء مثله وضعفاه مثلاه ، قال الأزهرى : الضعف فى كلام العرب المثل الى ما زاد ، لأن الضعف فى الأصل زيادة غير محصورة الا ترى قوله تعالى (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغـــرفات آمنون)(٣) .

الاعراب يقول جملة فعلية فى محل نصب على الحالية . **فحسن** الفاء حرف عطف وجملة حسن معطوفة على جملة أسلم . وجملة **يكفر الله** جـــزاء الشرط ويكفر مرفوع لأن **اذا** لا تجزم الا فى الشعر خاصة مثل :

استغن ما أغنـــاك ربك بالغنى واذا تصبك خصـــاصة فتحمل

كل سيئة كل مفعول ليكفر ، وسيئة مضاف اليه . (كان زلفها) جملة كان واسمها وخبرها صفة لسيئة . **وكان بعد ذلك القصاص** الواو للاستئناف بعد ذلك خبر كان مقدم والقصاص اسمها . **الحسنة** مبتدأ **بعشر أمثالها** خبر. **الى سبعمائة** متعلق بمحذوف حال ، أى منتهية الى سبعمائة . **والسيئة** مبتدأ **وبمثلها** خبره بمعنى لا يزاد عليها الا أن يتجاوز الله عنها .

ونرى من المناسب أن نذكر الجمل التى لها محل من الاعراب والتى لا محل لها لأن الجملة من حيث هى هى غير معربة ما لم تقع موقع الفرد وقد نظم هذه الجمل الشيخ أثير الدين أبو حيان بقوله :

وخذ جملا ستا وعشرا فنصفها .. لها موضع الاعراب جاء مبينـــا
فوصـــفية حاليـــة خبـــرية .... مضاف اليها واحك بالقول معلنا
كذلك فى التعليق والشرط والجزا ....اذا عامل يأتى بلا عمل هنـــا
وفى غير هذا لا محل لهـــا كما .... أتت صلة مبدوة فاتك العنـــا
مفسرة أيضا وحشو ا كذا أتت .... كذلك فى التخصيص نلت به الغنا
وفى الشرط لم يعمل كذاك جوابه.... جـــواب يمين مثله سرك المنى

---

(٣) سورة سبأ آية ٣٧ .

البلاغة :

من الناحية البلاغية نجد استعمال المضارع **يقول** فى موضع الماضى ، لغرض استحضار الصورة الذهنية كأنه يقول الآن والحاضرون يطلعون على ذلك مبالغة فى تحقيق وقوع ذلك القول ، ومثل ذلك قوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)(٤) حيث لم يرد فكان بالماضى ٠

وبالعكس حيث نجد استعمال الماضى محل المضارع لأن السياق يقتضى المضارع فى قوله **وكان بعد ذلك** لأن الحديث هنا حول ما سيكون بعد اخلاص الاسلام واحسانه ، وهذا الاستعمال اشارة الى تحقق الوقوع ومثله قوله تعالى (ونادى أصحاب الجنة)(٥) ٠ كذلك نجد لونا بلاغيا آخر فى الجملة الاستئنافية ٠ **الحسنة بعشرة أمثالها** حيث فصلت ولم تعطف على الجملة السابقة لانها جواب عن سؤال مقدر نشأ من الجملة السابقة لها ٠

المعنى :

ان العبد اذا أسلم فحسن اسلامه بدخوله فى الاسلام ظاهرا وباطنا فأصبح يمتثل لما أمر الله كأنه يرى الله تعالى فالله تعالى يكفر عنه كل السيئات التى وقع فيها قبل اسلامه ، فتكون صفحته بيضاء ، فاذا عمل حسنة بعد ذلك استحق أن تكتب له بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ٠ أما السيئة فانها تكتب له واحدة وقد يتجاوز الله عنها فلا تكتب عليه ٠

هذا ويقول الله عز وجل (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)(٦) ، وقوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء)(٧) فالآية تدل على انه قد يكون الانتهاء الى أكثر من سبعمائة وقد جاء مثل ذلك فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما مما أخرجه البخارى فى الرقاق **(كتب الله له عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة** ٠ كما ورد فى حديث أبى هريرة **ان الله تعالى يعطى بالحسنة ألفى ألف حسنة** ٠

---

(٤) سورة آل عمران آية ٥٩ ٠
(٥) سورة الأعراف آية ٤٤ ٠
(٦) سورة الأنعام آية ١٦٠ ٠
(٧) سورة البقرة آية ٢٦١ ٠

ما يؤخذ من الحديث :

١ - منه يؤخذ الرد على الخوارج وغيرهم من الـــذين يكفرون بالذنوب ويوجبون خلود المذنبين فى النار ٠

٢ - يؤخذ منه دليل أهل السنة انه تحت المشيئة ان شاء الله تجاوز عنه وان شاء أخذه ٠

٣ - يؤخذ منه أيضا ان أصحاب المعاصى لا يقطع بدخولهم النار خلافا للمعتزلة ، الذين يقطعون بعقاب صاحب الكبيرة اذا مات بلا توبة ٠

٤ - ينبغى أن يلاحظ ان الحسن وصف للايمان ليس داخلا فيه لذلك لا يستفاد من هذا الحديث زيادة الايمان ونقصانه وانما يستفاد ذلك من أحاديث أخرى ٠ والله أعلم ٠٠

الحـديث السادس

عن الشعبى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه .

رواه البخارى فى الايمان وفى الرقاق . وأبو داود فى الجهاد . والنسائى فى الايمان . وأخرج مسلم بعضه فى الايمان .... وأخرجـــه الترمذى فى القيامة .

من رجاله :

الشعبى بفتح الشين وسكون العين : هو أبو عمرو عامر بن شراحيل وقيل ابن عبد الله بن شراحيل الكوفى التابعى الجليل الثقة ، أدرك خمسمائة صحابى ولد لست سنين مضت من خلافة عثمان ، ومات بعد المائة وهو ابن نيف وثمانين سنة(١) . وعبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشى الزاهد العابد الصحابى ابن الصحابى ، أسلم قبل أبيه ، وكان بينه وبين أبيه فى السن اثنتى عشرة سنة ، وكان غزير العلم مجتهدا فى العبادة وكان أكثر حديثا من أبى هريرة لانه كان يكتب وأبو هريرة لا يكتب ، ومع ذلك فالذى روى له قليل بالنسبة الى ما روى لأبى هريرة . مات بمكة أو بالطائف أو بمصر عن اثنتين وسبعين سنة(٢) وفى الصحابة من اسمه عبد الله بن عمرو جماعات عدتهم ثمانية عشر نفسا .

معانى المفردات :

من يده : اليد اسم للجارحة ولكن المراد منهـــا أعم من أن تكون يدا حقيقية او يدا معنوية ، لأنها هنا تشمل الاستيلاء على حق الغير بغير حق فأنه

---

(١) شروح البخارى ص ١٢٥ وعمدة القارى جـ ١ ص ١٣٠ .

(٢) شروح البخارى ص ١٢٥ وراجع عمدة القارى جـ ١ ص ١٣١ .

ايذاء لكن لا باليد الحقيقية · **المهاجر :** هو الذى فارق عشيرته ووطنه · **من هجر** : آى من ترك وهو من هجره يهجره هجرا وهجرانا ، وهو ضد الوصل · ولا يقال **المهاجر :** من باب المفاعلة مما يقتضى الاشتراك بين اثنين لأن المهاجر هنا معناه كالمسافر بمعنى السافر والمنازع بمعنى النازع ·

الاعراب :

المسلم مبتدأ ، **من سلم المسلمون** من موصولة والجملة الفعلية صلتها ، وهى وصلتها خبر المبتدأ · ويجوز أن تكون هى وصلتها خبرا لمبتدأ محذوف ، وتكون الجملة الاسمية هى خبر المبتد الأول و **من لسانه** متعلق **بسلم** · **والمهاجر** الواو عاطفة والمهاجر معطوفة على المسلم · **ومن هجر** من موصولة هى الخبر كما سبق · **وما نهى الله عنه** ما موصولة وهى وصلتها فى محل نصب لهجر ·

البلاغة :

فى قوله **المسلم من سلم** قصر عن طريق تعريف الطرفين لأن المسلم معرف بالألف واللام ومن اسم موصوله معرفة ، على باب قولهم محمد الرجل أى محمد الكامل فى الرجولية ، فيكون معنى الحديث **المسلم الكامل من سلم الى آخر الحديث** وقال بعضهم المراد هو الكامل الاسلام والجامع لخصاله ما لم يؤذ مسما بقول ولا فعل هذا كما ترى من جوامع كلمه وفصيح حديثه صلى الله عليه وسلم ·

ويشمل الحديث معنى ان المسلم الممدوح من كان هذا وصفه ، لأنه ليس على معنى ان من لم يسلم الناس منه يعد من الخارجين عن عقد الاسلام وانما هو من باب قولهم **المال الابل** بمعنى أن أفضل المال الابل · فأفضل المسلمين هو من جمع الى جانب أداء حق الله أداء حقوق المسلمين والكف عن اعراضهم ·

ويقال مثل ذلك من حيث القصر والحصر فى **المهاجر من هجر** آى المهاجر الممدوح هو من جمع الى هجران وطنه هجر ما حرم الله تعالى عليه ، ونفى اسم الشىء على معنى نفى كماله كثير فى كلام العرب وكذلك العكس · فأنت تقول : زيد ليس برجل مع انه باق فى دائرة الذكور لم يخرج منها ·

هذا وينبغى أن يلاحظ أن هذا الكلام من باب المبالغة والتعظيم ، فالحصر هنا جاء على سبيل الادعاء وأمثال ذلك كثيرة عند أهل الفن ·

وفى هذا الكلام اشارة لطيفة وهى ان العبد اذا حسنت المعاملة بينه وبين الناس فمن باب أولى أن يحسن ما بينه وبين ربه ، فهو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ٠

ومن ألوان البلاغة فى هذا الكلام العطف بين الجملتين للاشتراك فى المعنى والتناسب بينهما مع اتحادهما فى الاسمية وفيه من البديع التجنيس الناقص فى **المسلم من سلم والمهاجر من هجر** وهناك مجاز مرسل فى ذكر **اللسان واليد** ٠

المعنى وما يستنبط من الحديث :

قيل ان سبب الحديث لما انقطعت الهجرة وفضلها ، حزن على ذلك من لم يدركها فأعلمهم النبى صلى الله عليه وسلم ان المهاجر على الحقيقة من هجر ما نهى الله ، كما قيل انه أعلم المهجرين بذلك حتى لا يتكلوا على الهجرة ٠ اذن على المسلم أن يلتزم الكف عن ايذاء أخيه وترك المحرمات ليفوز بهذا الفضل ، وقيل ان كف الايذاء يتناول الذمى أيضا لأن الحديث قد روى بلفظ **من سلم الناس** فدخل بذلك الذمى ٠ فذكر المسلمين فى النص المذكور جاء عن طريق الغالب وكف الأذى عن المسلم أشد تأكيدا لاصل الاسلام ، وكذلك الحديث يشمل المسلمات كما فى سائر النصوص عندما يكون الخطاب للرجال يكن داخلات فيه ٠

ويفهم من الحديث الحث على ترك الأذى بكل ما يؤذى والحث على ترك المعاصى واجتناب المناهى ٠ أما سبب النص على اللسان واليد فهو انهما أكثر ايذاء من غيرهما فاعتبر الغالب ، وكذلك يقال فى تقديم اللسان على اليد لأن الايذاء باللسان أكثر وأسهل كما أناللسان قد يتناول الماضين والحاضرين دون اليد فانه للحاضرين ٠ واللسان أشد نكاية منالليد فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان **اهج المشركين فانه أشق عليهم من رشق النبل** ٠

وقال الشاعر :

جراحات السنان لهـــا التئام ٠٠٠ ولا يلتـــام ما جرح اللسان

وفى الحديث رد على المرجئة فانه ليس عندهم اسلام ناقص ٠

والله أعلم ٠٠

الحـديث السابع

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا ، فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ٠

أخرجه البخارى فى العلم وفى الاعتصام ٠ ومسلم فى القدر وفى العلم ، والترمذى فى العلم وابن ماجة فى المقدمة والدارمى فى المقدمة كما أخرجه أحمد بن حنبل ٠

من رجاله هشام وهشام هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام ٠

الاعراب :

جملة : **يقول** تقع حالا من رسول الله ٠ لفظ الجلالة اسم **ان** ٠ **لا يقبض** لا نافيه يقبض مضارع مرفوع والجملة خبران ٠ **انتزاعا** ٠ يجوز فيه أوجه :

١ ــ أن يكون مفعولا مطلقا والعامل يقبض على مثال : رجع القهقرى وقعد جلوسا ٠

٢ ــ أن يكون مفعولا مطلقا مقدما ء لىعامله الذى من لفظه وهو ينتزعه٠ وجملة **ينتزعه** تكون حالا من الضمير فى يقبض والتقدير : ان الله لا يقبض العلم حال كونه ينتزعه انتزاعا من العباد ٠

٣ ــ أن يكون حالا من العلم بمعنى **منتزعا** والتقدير ان الله لا يقبض العلم حال كونه منتزعا ٠ ويجوز أن تكون جملة ينتزعه فى محل نصب صفة لانتزاعا ويجوز أيضا أن تكون صفة لمنتزعا(١) ٠

---

(١) راجع عمدة القارى جـ ٢ ص ١٣١ ٠

لكن للاستدراك **يقبض العلم** جملة معطوفة على الجملة السابقة و **حتى** ابتدائية .

اذا يجوز أن تكون شرطية . ويجوز أن تكون ظرفية **لم يبق** فعل الشرط **واتخذ** جواب الشرط .

وقد يقال ان **اذا** تفيد الاستقبال و **لم** تقلب المضارع ماضيا فكيف يجتمعان وكيف الحكم اذن ؟ الجواب هو انهما تعارضا تساقطا فبقى المضارع على حكمه الأصلى . كما يجوز أن يقال ان اذا ان كانت شرطية يكون المعنى : ان اتخاذ الرؤس الجاهلة متوقف على عدم وجود عالم مع انه يجوز اتخاذها مع وجود العالم . والجواب على ذلك هو ان مثل هذا يقال فى الأمور العقلية فلا يطرد فى غيرها لأنك تجد أن من شروط صحة الصلاة أن يكون المصلى متوضئا ولكن يجوز أن تصح الصلاة مع عدم الوضوء بأن يكون متيمما ، وذلك لوجود البدل .

و **يبق** بضم حرف المضارع هو من أبقى وعالما مفعول به ، **ويبق** بفتح حرف المضارعة من **بقى** فيكون عالم فاعلا . و **اتخذ** أصله **ائتخذ** قبلت الهمزة تاء وادغمت فى مثلها والناس فاعل ، و **رؤسا** مفعول به وروى **رؤساء** جمع رئيس والأول اشهر(٢) . **جهالا** صفة لرؤسا . **فسئلوا** مبنى للمفعول والواو نائب عن الفاعل . **فضلوا** من الضلال و **أضلوا** من الاضلال أى فضلوا أنفسهم وأضلوا السائلين .

البلاغة :

يقول جاء هذا الفعل مضارعا حكاية لحال الماضى ولأجل استحضار الصورة الذهنية له ، لذلك لم يطابق **سمعت** ، وأكد الخبر فى قوله : **ان الله ...** اهتماما بالخبر ولبيان أهميته . وهناك لون آخر من ألوان البلاغة وهو الاظهار فى موضع الاضمار فى قوله **ولكن يقبض العلم ...** فكان حقه **يقبضه** لتقدم المرجع ، وذلك لزيادة تعظيم المضمر وبيان ما له من الأهمية . ونظير ذلك قوله تعالى (الله الصمد) بعد (قل هو الله أحد) فى **رؤسا** مجاز مرسل علاقته الجزئية وهو جمع رأس . على خلاف رواية **رؤساء** فانه جمع رئيس لا مجاز فيها .

---

(٢) الروايتان وردتا فى مسلم راجع ج ١٦ ص ٢٢٤ .

المعنى :

من هذا الحديث نعرف ان الله تعالى لا يقبض العلم من بين عبـاده عن طريق رفعه الى السماء مرة واحدة أو محوه من صدور العلماء ، ولكن يتم ذلك عن طريق التدرج بقبض أرواح العلماء وموت حملته وعدم احلال غيرهم محلهم فيضيع العلم المؤدى الى معرفته وبث شريعته بعدم وجود من يخلف من مضى ، فقد وقع الاخبار فى حجة الوداع فقد روى انه عندما كان صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع قال : خذوا العلم قبل أن يقبض أو يرفع فقال اعرابى كيف يرفع ؟ فقال : **ألا ان ذهاب العلم ذهاب حملته ثلاث مرات** وهذا لا ينفى انه تعالى قادر على محو العلم من الصدور الا أن هذا الحديث دل على عدم وقوع ذلك ٠

ويستنبط من هذا الحديث :

١ ـ جواز خلو الزمان عن العالم المجتهد على ما ذهب عليه الجمهور خلافا لمذهب الحنابلة(٣) ٠

٢ ـ فيه حث على حفظ العلم والاجتهاد بالاشتغال به ٠

٣ ـ فيه ذم من يتقدم للفتوى بغير علم لانها هى الرياسة الحقيقية ٠

٤ ـ يفهم من هذا الحديث التحذير من اتخاذ الجهال رؤسا(٤) ٠

والله أعلم ٠٠

---

(٣) عمدة القارى جـ ٢ ص ١٣٢ ٠

(٤) عمدة القارى جـ ٢ ص ١٣٢ ٠

الحـديث الثـامن

عن زيادة قال سمعت المغيرة رضى الله عنه يقول : ان كان النبى صلى الله عليه وسلم ليقوم أو ليصلى حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له ، فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا ٠

أخرجه البخارى فى الرقاق والتجهد ومسلم فى أواخر كتاب المنافقين والترمذى فى الصلاة والنسائى وابن ماجة وأحمد بن حنبل مع اختلاف فى لفظ الحديث ٠

ه ن رجاله :

زياد بن علاقة بن مالك الثعلبى الكوفى ثقة مات سنة ١٢٥ هـ والمغيرة ابن شعبة ٠

معانى المفردات :

ترم : فعل مضارع للمؤنث وماضيه **ورم** وهو من باب فعل يفعل بكسر العين فيهما تقول ورم يرم ورما ، أى انتفخ وقد روى الحديث بمعنى الانتفاخ وتورمت بالماضى ، وفى رواية **تزلع** وزلع يزلع زلعا اذا تشقق(١) ٠

الاعراب :

ان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف أى انه كان ٠ واللام فى **ليقوم** لام التأكيد أو القسم ، وكلمة **أو ليصلى** شك من الراوى وعلى كل حال هى خبر كان **حتى ترم** حتى للغاية ومعناها الى و **ترم** مضارع منصوب بأن مقدرة بعد حتى و **قدماه** فاعل مرفـــوع بالألف **أو ساقاه** شك من الراوى **فيقال له** فعل مضارع مبنى للمجهول ومقول القول محذوف وتقديره **غفر الله**

---

(١) راجع العمدة جـ ٧ ص ١٧٩ وما بعدها ٠

(٢) راجع النووى جـ ١٧ ص ١٦٢ وعمدة القارى جـ ٢ ص ١٨٠ ٠

لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقد وردت روايات كثيرة حول المقدر هذا تدور حول المذكور(٢) · **أفلا أكون** الهمزة للاستفهام مقدمة على الفاء ، والفـــاء للسببية ، و **لا** نافية ، فلما كانت الهمزة للانكار ولا نافية كانت الجملة ايجابية لأن نفى النفى اثبات **عبدا شكورا** خبر كان **شكورا** صفة للعبد ·

البلاغة :

ما فى الحديث من البلاغة ظاهر من ايجاز وتأكيد : ايجاز فى فيقال له وقد أشرنا الى ذلك فى شرح المفردات والتأكيد فى **ان** ولام التأكيد لاحظ شرح المعنى فيما يأتى ·

المعنى :

أى انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل ويصلى الى أن تنتفخ قدماه فقيل له بسبب ذلك لم تفعل ذلك يا رسول الله مع ان الله تبارك وتعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر فكان جوابه صلى الله عليه وسلم **أفلا أكون عبدا شكورا** أى التهجد هو الشكر فلا يتركه ·

ويستفاد منه أخذ الانسان نفسه بالشدة فى العبـــادة وان أضر ذلك ببدنه ، وله أن يأخذ بالرخصة ويكلف نفسه بما سمحت الا أن الأول أفضل لانه اذا كان من غفر له ما تقدم وما تأخر قد فعل ذلك فكيف بمن لا يعلم انه استحق النار أم لا · هذا وقد فعل الأنبياء ذلك مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ولكن كان ذلك للشكر ·

ويستفاد منه أيضا ان الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان ·

والله أعلم ··

---

(٢) راجع النووى جـ ١٧ ص ١٦٢ ، وعمدة القارى جـ ٧ ص ١٨٠ ·

الحـديث التاسـع

عن واصل الأحدب عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : انى سابت رجلا ، فعيرته بأمه ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر : آعيرته بأمه ، انك امرؤ فيك جاهلية اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فاعينوهم .

أخرجه البخارى فى الايمان وفى العتق وفى الأدب وأخرجه مسلم فى الايمان والنذور وأبو داود والترمذى .

من رجاله :

واصل بن حيان الأحدب الأسدى الكوفى وهو ثقة صدوق صالح الحديث مات سنة ١٢٧ هـ .

والمعروف بن سويد أبو امامة الأسدى الكوفى وهو ثقة روى له الجماعة.

أبو ذر : هو جندب ، بضم الجيم والدال ، وحكى فتح الدال ، وهـو مأخوذ من واحد الجنادب الذى هو الطائر ، وقيل اسمه برير بضم الباء الموحدة ابن جندب ، والمشهور : جندب بن جنادة بن سفيان ، نسبه ينتهى الى نزار الغفارى السيد الجليل ، وغفار قبيلة من كنانة . اسلم قديمـا روى عنه : **أنا رابع أربعة فى الاسلام** ويقال كان خامس خمسة . أسلم بمكة ثم رجع الى بلاده وقام بها حتى مضت بدر وأحد الخندق ثم رجع الى المدينة فصحب النبى صلى الله عليه وسلم ، الى أن مات . ومناقبه جمة وزهده مشهور ويشبه بعيسى عليمه السلام فى الزهد والتواضع ، من مذهبه أنه يحرم على الانسان ادخار ما زاد على حاجته من المال وروى مائتا حديث وواحد وثمـانون حديثا مات بالربذة سنة ٣٢ وصلى عليه ابن مسعود رضى الله عنه .

معانى المفردات :

بالربذة : بفتح الراء والباء والذال موضع قريب من المدينة على ثلاث مراحل قريب من ذات عرق بها قبر أبى ذر(١) · **حلة :** هى ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون من ثوبين سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل على الآخر · **سابيت** شاتمت ونسبت اليه العار والعيب والمثل يقول : النار ولا العار · **خولكم** بفتح الواو الخشم وهو اسم يقع على العبد والأمة ، وقال الفراء هو جمع خائل وهو الراعى وقيل هو من التخويل أى التمليك وخال المال يخوله اذا أحسن القيام عليه والخايل الحافظ(٢) · **ولا تكلفوهم** وهو تحميل الشخص شيئا فيه كلفة أو الأمر بما يشق · **يغلب** من غلبه غلبا بسكون اللام وتحريكه وغلبة وغلابية ·

الاعراب :

لقيت فعل وفاعل **أبا ذر** مفعول به **بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة** كلها أحوال · **سابيت** فعل وفاعل **رجلا** مفعول به **فعيرته** الفاء تفسيرية **عيرته** معطوفة على سابيت· **ياأباذر** حرف نداء ومنادى روى أبوذر بلا ألف على سبيل التخفيف ، **أعيرته** · الهمزة للاستفهام الانكارى التوبيخى **انك امرؤ** ان واسمها وخبرها وامرؤ معربة من مكانين العين واللام فى جميع الأحوال ، الا اذا لم يكن فى أولها ألف فيلزم سكون الراء ولا تجمع من لفظها وقد تضم الراء فى **امرىء** فى جميع الأحوال وتقدم الكلام عنها مستوفى · **فيك جاهلية** مبتدأ وخبر اخوانكم خولكم يجوز فيه وجهان(٣) :

الأول : أن يكون خولكم مبتدأ واخوانكم خبر مقدم ·

الثانى : أن يكون كل منهما خبر المبتدأ محذوف تقديره هم اخوانكم هم خولكم ، **جعلهم الله** فعل وفاعل ومفعول أول والثانى تحت أيديكم والجملة خبر مبتدأ محذوف تقديره هم جعلهم الله تحت أيديكم · **فمن كان** من موصولة ومتضمنة معنى الشرط وهى فى محل رفع بالابتداء **أخوه** اسم كان **تحت يده** خبرها وجملة كان واسمها وخبرها صلة الموصول لا محل له من الاعراب ·

---

(١) راجع النهاية مادة (ربذ) ·
(٢) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٠٦ ·
(٣) راجع عمدة القارى جـ ١ ص ٢٠٧ ·

فليطعمه الفاء واقعة فى جواب الشرط الذى تضمنه **من** ويطعمه جملة فعلية خبر من الموصولة ، أما الفاء فى **فمن كان** فهى عاطفة جملة على جملة اذ المعنى **وأنتم مالكون اياهم ، فمن كان** · ويجوز أن تكون سببية وهو أظهر عندنا · **مما يأكل** يجوزان أن تكون **ما** موصولة والعائد محذوف — ويجوز أن تكون مصدرية فيكون التقدير **من أكله** · **وليلبسه** : جملة معطوفة على السابقة وتعرب مثل اعرابها ، **ولا تكلفوهم** لا ناهية ، والمضارع مجزوم بحذف النون· **ما يغلبهم** ما موصولة فى محل نصب والمضارع المرفوع صلتها · **فأعينوهم** الفاء جواب الشرط ·

البلاغة :

١ — هناك مجاز مرسل فى كلمة **حلة** من اطلاق اسم الكل على الجزء لأن الذى عليه لم يكن حلة كاملة وانما كان **بردة** على الصحيح وان كان هنـــاك قول بأنه كانت عليه حلة كاملة قطعة منها جديدة والأخرى قديمة وعلى غلامه مثل ذلك ، وأريد بأنه لو جمع الجديدين لكانت حلة بمعنى حلة كاملة الجودة ويكون للغلام الحلة القديمة اذن التنكير للتعظيم ·

٢ — وفى قوله **انى سابيت رجلا** تأكيد للخبر للاهتمام به لأنه يريد أن يرفع عن المعرور المستغرب سبب الاستغراب الذى أصابه لرؤية خلاف المألوف من أبى ذر رضى الله عنه ، ويقال : انه أتى بصيغة سابيت ليدل على أن السب كان من جهتين ويدل عليه فى رواية مسلم(٤) **قال أعيرته بأمه** فقلت : **من سب الرجال سبوا أباه وأمه** ·

٣ — وفيه كمال الاتصال بين الجملتين حيث نزلت الجملة الثانية وهى **انك امرؤ فيك جاهلية** منزلة التأكيد المعنوى من متبوعها وهى جملة **أعيرت بأمه** وذلك فى افادة التقرير مع اختلاف فى اللفظ ، وذلك لوجود الاستنكار فى الأولى وما تضمنه الثانية من نفس المعنى أيضا كما أن الثانية فيها تأكيد ·

٤ — وفى اخوانكم خولكم حصر عن طريق التقديم أى تقديم ما حقـــه التأخير لأن أصله خولكم اخوانكم اذ المقصود هو الحكم على الخـــول بالاخوة فالمعنى هو : ما خولكم الا اخوانكم ، ويجوز اعتباره من باب التشبيه المقلوب

---

(٤) النووى جـ ١١ ص ١٣٢ ·

المورث لملاحة الكلام ، ويلاحظ أيضا أن كلا من المبتدأ والخبر معرفة وتعريف الطرفين أيضا طريق من طرق القصر وهذا يتحقق حتى عند اعتبار اخوانكم وخولكم خبر لمبتدأ محذوف ٠

٥ ـ **تحت أيديكم** فيه مجاز عن القدرة أو التمليك ٠ ويمكن القول بأن ذلك كناية عن الملك وكذلك فى **الاخوة** يمكن أن يكون مجاز بالاستعارة حيث شبهت الأخوة الاسلامية بالأخوة فى النسب فأجريت الاستعارة أو بالنظر الى أن الكل من أولاد آدم عليه السلام ، كما يمكن أن يقال انها حقيقة شرعية نظرا لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة(٥) فيكون الحكم خاصا بالمؤمنين دون غيرهم ٠

٦ ـ وهناك ايجاز عن طريق حذف المفعول الثانى فى قوله **فان كلفتموهم** لأن المعنى فان كلفتموهم ما يغلبهم ٠

المعنى والاستنباط :

هذا الحديث يرشدنا الى أنه لا يجوز ان يسب المسلم أخاه ولا أن يعيره بآبائه أو يفتخر عليه ويتعالى عليه ولو كان عبدا ٠ وندرك منه أيضا أنه يندب **أن يطعم الانسان** من جعله الله تحت يده ويشاركه فى الملبس وأنه لا يجوز أن يكلف من يخدمه العمل الذى يفوق قدرته واذا حصل وكلفه بذلك وجب عليه أن يعينه بنفسه أو بغيره ، بلا خلاف بين العلماء ٠

هذا ويقال ان الذى سابه أبو ذر هو بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه عيره بسواد أمه على ما جاء فى رواية أخرى(٦) **قلت له يا ابن السوداء** وفى رواية غيرها **وكانت أمه أعجمية فقلت منها** والأعجمى من لا يفصح باللسان العربى سواء كان عربيا أو عجميا(٧) ٠ ويبدو أن المفاعلة فى **سابت** على بابها أى هى من جهتين لما فى رواية مسلم **قال أعيرته بأمه** فقلت من سب الرجال سبوا أباه وأمه أما أن يحدث مثل هذا من أمثال أبى ذر مع أنه حرام فربما ان هذا حدث منه قبل أن يعرف تحريمه فكانت تلك الخصلة باقية عندم

---

(٥) سورة الحجرات آية ١٠ ٠
(٦) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٠٨ ٠
(٧) المرجع السباق جـ ١ ص ٢٠٨ ٠

نظرا لكونه بعيدا عن الرسول الى ما بعد غزوة بدر واحد والخندق • اذ أن الفرق ظاهر فيما حكى عنه بعد علمه بذلك •

لا يخفى ما فى هذا الأسلوب من بيان وفصاحة فانك تجده يقـــول فليطعمه مما يأكل ولم يقل مما يطعم لأنه لو قال ذلك لتوهم انه تجب الاذاقة مما يذوق وذلك غير جائز لأن يطعم معناها هنـا الاذاقة قال تعـــالى **ومن لم يطعمه فانه منى**(٨) وبالعكس لم يقل فليؤكله ممـا يأكل اشارة الى أنه لابد من الاذاقة مما يأكل وان لم يشبعه من ذلك الأكل •

ومما يؤخذ منه :

١ ـ النهى عن سب المسلم وتعييره بوالديه ولو كان عبدا مع الحث على الاحسان على من هو أقل من الانسان ، ويتبع ذلك نهى الفخر بالآباء ويتناول ذلك كل من يستأجره الانسان أو يستخدمه ، بل حتى الدواب ينهى أن يحملها الانسان ما لا تطيق فان فعل وجب عليه أن يعينها بنفسه أو بغيره(٩) ـ قال تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) •

٢ ـ استحباب الاطعام مما يأكل والالباس مما يلبس وذلك بالاجماع فهو ليس للايجاب فلو أطعمه شيئا من الخبز فقد فعل المستحب لأن **من** للتبعيض •

٣ ـ منع تكليف من يقوم بخدمة الانسان ما هو فوق طاقته أو ما لا يستطيع الدوام عليه فالنهى هنا للتحريم بلا خلاف فان كلفه ذلك وجب عليه اعانته بنفسه أو غيره كما سبق •

٤ ـ يفهم من هذا الحديث المحافظة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر•

٥ ـ جواز اطلاق الأخ على الرقيق وقد ناقشنا ذلك من حيث الحقيقة والمجاز •

والله أعلم ••

---

(٨) سورة البقرة آية ٢٤٩ •

(٩) عمدة القارى ج ١ ص ٢٠٨ •

الحـديث العـاشر

عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اياكم والجلوس على الطرقات ، فقالوا ما لنا بد ، انما هى مجالسنا نتحدث فيها ، قال : فاذا أبيتم الا المجالس ، فأعطوا الطريق حقها ، قالوا وما حق الطريق ، قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

أخرجه البخارى فى باب المظالم وباب الاستئذان وباب اللباس وأخرجه أبو داود فى الأدب .

المفردات :

الطرقات : جمع طريق أو جمع طرق فيكون الطرقات جمع جمع .

المجالس : جمع مجلس وهنا بمعنى الجلوس(١) .

أبيتم : من الاباء بمعنى الامتناع عن الجلوس الا فى المجالس ، وروى اذا أبيتم من الاتيان أى **اذا أتيتم الى المجالس** والى للغاية .

غض البصر : كفه عن النظر فيما نهى الله عنه للسلامة من التعرض للفتنة .

ما لنا بد : أى ليس لنا غنى عن الجلوس فيها .

كف الأذى : عدم التعرض للغير بالقول والفعل مما ليس فيه خير .

أمر بالمعروف ونهى عن المنكر : أى أمر جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع من المحسنات ونهى عنه من المقبحات ، والمنكر ضد المعروف .

---

(١) عمدة القارى جـ ١٣ ص ١٣ .

روى الحديث عن أبى داود بزيادة : **وارشاد السبيل وتشميت العاطس اذا حمد الله وعند الطبرانى واغاثة الملهوف(٢)** ٠

الاعراب :

اياكم والجلوس منصوب على التحذير أى أحذركم اتقوا واتركوا الجلوس على الطرقات ٠ **ما لنا بد** ما عاملة عمل ليس **لنا** خبرها مقدم و **بد** اسمها ٠ **هى مجالسنا** مبتدأ وخبر و **نتحدث فيها** جملة حالية ٠ **المجالس** منصوبة بنزع الخافض أى : **فى المجالس** ٠ **الطريق** ـ مفعول أول وحقها المفعول الثانى **لاعطوا** ٠

ما حق الطريق : ما استفهامية مبتدأ حق الطريق خبر ٠

غض البصر : خبر لمبتدأ محذوف دل عليه المذكور فى السؤال السابق ٠ وكف الأذى وما بعده معطوفات على غض البصر ٠

البلاغة :

١ ـ فى الحديث ايجاز عند قوله : **اياكم والجلوس** حيث حذف العامل ، اتقوا واتركوا أحذركم ٠

٢ ـ فيه قصر فى ما لنا بد حيث قدم ماحقه التأخير ، وقصر آخر عن طريق انما فى قولهم : **انما هى مجالسنا نتحدث فيها** ٠

٣ ـ وفيه استعارة بالكناية فى **اعطوا الطريق حقها** حيث شبه الطريق بانسان له حق يستحق أن يأخذه ـ على سبيل الاستعارة بالكناية ٠

٤ ـ وهناك نكتة أخرى فى تنكير **أمر بالمعروف** ، و **نهى عن المنكر** لأن التنكير فى الأمر يدل على أنه شامل لكل ما عرف بأنه داخل فى طاعة الله تعالى أو له صلة ما بالتقرب اليه والاحسان الى الناس ، أو له مساس بما ندب اليه الشرع من المحسنات ، وبالعكس بالنسبة للنهى فانه يأخذ من التنكير النهى الشامل لكل المقبحات والمنكرات التى قبحها الشرع أو حرمها ٠

---

(٢) نقلا من صاحب عمدة القارى جـ ١٣ ص ١٣ ٠

المعنى :

يفهم من هذا الحديث التحذير عن الجلوس فى الطرقات وأفنية الدور ، الا أنه صلى الله عليه وسلم أجاز ذلك بشروط أن تشمل سلامة الناس المارين على المجالس من التعرض للفتنة لهم وله سواء من القول أو الفعل أو غيرهما كالايحاء والايماء والاشارة • هذا من جانب ومن جانب آخر أن يكون الجالس نافعا لغيره من المسلمين ، ابتداء من رد السلام الى الارشاد والنهى عن المنكر والأمر بالمعروف وحسن الكلام لأن من جلس فى الطريق فقد عرض نفسه لكلام الناس ، اذن عليه أن يكون جالبا للخير ودافعا للضرر ما دام قد وضع نفسه فى هذا المكان •

وفى الحديث الدلالة على ندب لزوم المنزل ولا شك ان الانسان اذا لزم منزله أفاده ذلك فى تربية أبنائه وتوجيه أسرته وربط صلته بهم ليقتدوا به فى الأخلاق الحميدة ، والتمسك بالدين وتحسين العبادة •

والله أعلم ••

الحـــديث الحادى عشر

عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقول : الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات ، استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حـــول الحمى يوشك أن يواقعـــه ، الا وان لكل ملك حمى ، ألا ان حمى الله فى أرضه محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب .

رواه البخارى فى كتاب الايمان وفى البيوع وأخرجه مسلم فى البيوع وأبو دواد فى البيوع أيضا والترمذى فى البيوع والنسائى أيضا فى البيوع والأشربة وابن ماجة فى الفتن والدرامى فى البيوع .

من رجاله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة ولد بعد أربعة عشر شهرا من الهجرة النبوية ، وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة(١) والأكثرون يقولون هو وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فى العام الثانى من الهجرة الا أن الزبير قال هو أكبر منى ، روى له مائة حديث وأربعة عشر حديثا قتل فيما بين دمشق وحمص يوم واسط عن خمس وستين ، وكان عاملا على حمص لابن الزبير فلما تمرد أهل حمص خرج هاربا فاتبعه خالد بن حلى الكلاعى فقتله سنة ست وستين ، وهو صحابى ابن صحابى ابن صحابية وليس من الصحابة من اسمه النعمان بن بشير غيره وهو من الأفراد ، وهناك النعمان فوق الثلاثين .

المفردات اللغوية :

الحلال : هو ضد الحرام من حل يحل من باب ضرب أما حل بالمكان فهو من باب نصر . من هذا حللت العقدة أحلها حلا اذا فتحتها ومن الأول حل المحرم يحل حلالا ، ومن الثانى حل العذاب أى وجب .

---

(١) راجع عمدة القارى ج ١ ص ٢٩٦ والشبرخيتى ص ١١٢ .

بين : أى ظاهر من باب يبين بيانا اذا اتضح وهو على وزن فيعل و **بائن:** صفة مشبهة ٠

الحرام : ضد الحلال ، وكذلك الحرام بكسر الحاء ورجل حرام أى محرم وهو من حرم الشيء بضم الحاء ، أما حرمه الشيء يحرمه حرما وحريمة وحرمانا بمعنى منع فهو من باب سرق يسرق بكسر الراء ٠

مشبهات : جاء فيه خمس روايات(٢) ٠

١ ـ مشتبهات : بضم الميم وسكون الشين وفتح التاء وكسر الباء على وزن مفتعلات ٠

٢ ـ متشبهات : بضم الميم وفتح التـــاء وفتح الشين وتشديد البـــاء المكسورة على وزن مفتعلات وهى رواية الطبرى ٠

٣ ـ مشبهات : بضم الميم وفتح الشين وفتح الباء المشددة على وزن : مفعلات ٠

٤ ـ مشبهات : مثل السابقة الا أن الباء مكسورة على صيغة اسم الفاعل

٥ ـ مشبهات : بضم الميم وسكون الشين وكسر الباء المخففة ٠

والكل من أشبه الأمر اذا لم يتضح غير أن معنى :

الأولى المشكلات من الأمور لما فيه من شبه الطرفين المتخالفين فيشبه مرة هذا ومرة هذا ٠

وكذا الثانية الا أن فيه تكلف ٠

والثالثة مشبهات بغيرها مما لم يتيقن فيه حكمها على التعيين ٠

والرابعة أنها مشبهات أنفسها بالحلال ٠

والخامسة مثل الرابعة غير أن الأولى من التفعيل والثـــانية من باب الأفعال ـ ومنه ﴿ ان البقر تشابه علينا ﴾ ٠

فمن اتقى : أى حذر المشتبهات وهى جمع مشتبهة والاختلاف فى لفظها

---

(٢) راجع عمدة القارى جـ ١ ص ٢٩٧ وشرح الشبرخيتى ص ١١٢ ، ١١٣ وجامع العلوم والحكم ص ٦٣ وما بعدها ٠

من الرواة كالتى قبلها ، وفى مسلم **فمن اتقى الشبهات** بدون الميم وهى جمع شبهة وهى الالتباس ، وأصـــل اتقى ، أوتقى لأنه من وقى فقلبت الواو تاء وأدغمت التاء فى التاء .

استبرأ : استفعل أى طلب البراءة لدينه من الذم الشرعى بمعنى طلب البراءة من الاثم ، يقال برئت من الديون والعيوب وبرئت منك براءة وبرئت من المرض برأ بالضم ويقال برأت من المرض برأ بالفتح ، وبرأ الله الخلق برأ بالفتح وهو البارىء(٣) .

لدينه : أى لأجل دينه ـ والمذكور هنا هو الاستبراء للـــدين الذى يشمل : الايمان والاحسان ولا شك أن الاستبراء للدين من الدين .

لعرضه : موضع المدح أو الذم من الانسان ، أى الأمور التى يرفع بها أو يسقط بذكرها ، فيجوز أن تكون أمورا يوصف بها هو دون أسلافه كما يجوز أن تلحق بأسلافه النقيصة بعيبهم ، وهناك من زعم أن العرض لا يتصل الا بالرجل نفسه دون أسلافه ، قال عنترة :

فاذا شربت فاننى مستهلك ... مالى وعرضى وافر لم يكلم

لولا هذا الشراب لقلنا يا له من رجل ولكنها الجاهلية !!

الحمى : هو موضع حظره الامام لنفسه ومنع غيره عنه ، وهذا شىء حمى أى محظور لا يقرب ، وقيل الحمى بمعنى المحمى فأطلـــق المصدر عـــلى اسم المفعول الا أن الصحيح أنه اسم مصدر اذ أن المصدر هو حماية .

يوشك : بكسر الشين أى يقرب ، أن يواقعه : أن يقع فيه .

محارمه : معاصيه التى حرمها ، مثل القتل والسرقة وهو من الحـــرام **ومنه :** هو ذو محرم منها ، اذا لم يحل له زواجها أى نكاحها ، أما محـــارم **الليل :** فهى مخاوفه التى يحرم على الجبان أن يسلكها .

مضغة : قطعة من اللحم ، سميت بذلك لأنها تمضغ فى الفم لصغرها .

---

(٣) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٩٧ .

(٤) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٩٨ .

صلحت : بفتح اللام وضمها والفتح أفصح ، هو ضد الفساد ومصدره صلح صلوحا ، أما فسد : فهد من فسد الشيء يفسد فسادا وفسودا والفساد ضد الصلاح ٠

القلب : العقل لأنه يقال ما قلبك معك أى عقلك وقيل القلب أخص من الفؤاد ، وسمى بذلك لتقلبه فى الأمور ٠ أو لأنه خالص ما فى البدن وخالص كل شيء قلبه ، وأصله من قلبت الشيء اذا رددته وقلب الاناء رده على وجهه ثم نقل وسمى به هذا العضو الشريف لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه(٤) وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال :

ما سمى القلب الا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وكان مما يدعو به النبى صلى الله عليه وسلم **يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك** ٠

الاعراب :

الحلال مبتدأ ، و **بين** خبره وكذلك : **الحلال بين** ، الا أن **وبينهما مشتبهات** قدم الخبر على المبتدأ ، وجملة لا **يعلمها كثير من الناس** فى محل رفع صفة للمبتدأ المنكر الذى أجيز الابتداء به بسبب تقديم الخبر عليه ٠ **فمن اتقى** من موصولة مبتدأ واتقى صلتها **الشبهات** مفعول به والخبر هو قوله : **استبرأ** ولعرضه متعلق بالخبر ٠

ومن وقع : من هنا يجوز أن تكون شرطية ، وتكون جملة **وقع فى الشبهات** هى فعل الشرط ويكون الجواب محذوف تقديره ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، ووردت رواية باظهار الجواب ٠ **وكراع يرعى حول الحمى :** جملة استئنافية أى خبر لمبتدأ محذوف أى هو كراع يرعى حول الحمى ، وجملة **يرعى** صفة **لراع** ٠ والمفعول محذوف كما هو ظاهر ، و **حول** منصوبة على الظرفية والحمى مضاف اليه وجملة **يوشك أن يواقعه** صفة أخرى لراع ، و **يوشك** من أفعال المقارنة(٥) تارة تستعمل استعمال كاد من حيث رفع الفعل ، وخبره فعل مضارع بغير **أن** متأولة باسم الفاعل ، نحو يوشك زيد يجيء مثل كاد زيد يجيء أى جائيا ٠

---

(٤) راجع عمدة القارى جـ ١ ص ٢٩٨ ٠

(٥) راجع عمدة القارى جـ ١ ص ٢٩٩ وشرح الشبرخيتى ص ١١٦ ٠

وتارة تستعمل استعمال عسى زيد أن يخرج تقول يوشك زيد أن يخرج فزيد فاعل وأن يخرج فى موضع نصب لأنه بمنزلة قارب زيد الخروج ٠

تارة أخرى : أن يكون صلتها فى موضع رفع مثل : عسى أن يخرج زيد فتقول يوشك أن يخرج زيد فيكون بمنزلة قرب أن يخرج أى قرب خروجه ففى قوله **يوشك** الفاعل ضمير مستتر و **أن يواقعه** الجملة فى محل نصب فالمعنى يقارب الراعى المواقعة فى الحمى ٠ أما اذا اعتبرتها موصولة فالجملة فى محل رفع والخبر هو قوله **كراع يرعى** وليس هناك حذف أو تقدير ٠

ألا بفتح الهمزة حرف للتنبيه يدل على تحقق ما بعدها ، وتدخل على الجملتين مثل : (ألا انهم هم السفهاء) و (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) ـ وافادة التحقيق جاء من جهة دخول همزة الاستفهام على حرف النفى فاذن جاء التحقيق من جهة التركيب مثل (أليس ذلك بقادر على أن يحى الموتى) لذلك لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بمثل ما يتلقى به‌القسم نحو (ألا ان أولياء الله) ٠

أما الواو فى **ألا وان لكل ملك حمى** فعاطفة على مقدر والتقدير : **ألا ان الأمر كما تقدم وان لكل ملك حمى ٠**

وحمى منصوب على أنه اسم ان والخبر مقدم ، وهناك رواية بدون ذكر الواو فى **ألا ان حمى الله فى أرضه محارمة** وفى أخرى **معاصية** ويذكر الواو ههنا كما ترى ، وقد ذكرت فى غير هذه الرواية ٠

بقى أن نعرف وجه ذكرها هنا وعدم ذكرها فى رواية أخرى ، ووجه ذكرها فى **ألا وان فى الجسد** وسوف نذكر ذلك فى الحديث حول الجوانب البلاغية ان شاء الله ٠

مضغة : منصوب على أنه اسم ان والخبر مقدم ٠

اذا صلحت : اذا هنا بمعنى **ان** لانه يشترط فى مدخول اذا أن يكون متحقق الوقوع ، والصلاح هنا غير متحقق الوقوع لاحتمال الفساد والقرينة ذكر المقابل ، و **صلحت :** هو فعل الشرط ، وجواب الشرط هو صلح **الجسد،** وما قيل فى هذه الجملة هو الذى يقال فى ، **واذا فسدت فسد الجسد كله(٦)٠**

---

(٦) راجع عمدة القارى جـ ١ ص ٢٩٩ والشبرخيتى ص **١١٧** ٠

ألا وهى القلب تقدم الكلام فى **ألا** والواو عاطفة على مقدر أى الا آن الأمر كما تقدم وهى القلب ٠

البلاغة :

١ ـ فى الحديث تشبيه عند قوله كراع يرعى حول الحمى وهذا التشبيه يمكن أن يكون تمثيليا باعتبار وملفوفا باعتبار آخر ٠

فالاعتبار الأول : أن يعتبر التشبيه واقعا بين حـــال من يدخل فى الشبهات وبين حال الراعى الذى يرعى حول الحمى المحظور ، من حيث خوف الوقوع فيه ، ووجه الشبه يكون هو حصول العقاب بالنسبة لكل واحد منهما بسبب عدم الاحتراز ، فالراعى لاهماله ورعية حول الحمى استحق العقاب ، والذى وقع فى الشبهات استحق العقاب بسبب تعرضه لمقدماته ، ووجـــه الشبه اذن متنزع من عدة أمور فهو تمثيلى على رأى الخطيب والجمهور ٠

أما بالاعتبار الثانى : فيكون ملفوفا حيث يمكنك أن تقدره كالآتى : شبه المكلف بالراعى ، وشبهت النفس البهيمية التى تجرى وراء الأهواء بالأنعام ، والمشتبهات أو المتشابهات شبهت بما هو فى حول الحمى ، ثم شبهت المحارم بالحمى كما شبه الارتكاب أو الوقوع فى المشتبهات بالرتع حول الحمى ، وبهذا تجد أن التشبيه قد ظهر لنا ملفوفا ٠

٢ ـ وهناك استعارة فى اطلاق لفظ المضغة على القلب حيث شبه القلب بالمضغة أى قطعة اللحم التى تمضغ من حيث الصغر ثم استعير لفظها للقلب على سبيل الاستعارة الصريحة الأصلية ٠

٣ ـ هذا ولا يخفى ما فى الحديث من أداة التنبيه والتوكيد ، وذلك لبيان الاهتمام بالمذكور بعدهما ، وذلك فى مثل : ألا وان لكل ملك حمى ، ألا ان حمى الله فى أرضه محارمه ٠

٤ ـ ويوجد ايجاز بالحذف عند قوله : لا يعلمها كثير من الناس : المعنى لا يعلم حكمها ٠٠٠(٧) ٠

٥ ـ استعملت كلمة اذا فى هذا الحديث بمعنى **ان** والسبب فى ذلك

---

(٧) راجع من حيث المعنى جامع العلوم والحكم ص ٦٤ وما بعدها ٠

هو أن مدخول اذا لابد أن يكون متحقق الوقوع ، وههنا نجد أن الصلاح غير متحقق الوقوع ، وذلك لاحتمال الفساد · والقرينة هى ذكر المقابل **اذا صلحت** صلح ··· واذا فسدت فسد ··· ·

٦ ـ اختلفت الروايات فى **ألا وان حمى الله** البعض بالـــواو والبعض الآخر من غير ها والسبب فى هذا هو اعتبار بلاغى : من حيث جواز الفصل والوصل ·

(أ) فاذا نظرت الى أن الحمى قد ذكر فى كلا الجانبين واعتبرته مناسبة أتيت بالواو للربط بين الجملتين ·

(ب) ولك أن تنظر الى عدم وجود التناسب بين حمى الملوك وبين حمى الله الذى هو الملك الحق اذ لا ملك حقيقة الا له تعالى فبهذا الاعتبار تحذفها لعدم وجود المناسبة ·

(جـ) أما وجه ذكرها وعدم حذفها **فى ألا وان فى الجسد** فى كل الروايات فبالنظر الى وجود المناسبة بين الجملتين لأن الأصل فى الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب اذ هو العماد فى الأمر كله وعليه القوام والنظام ·

المعنى :

هذا الحديث من الأحاديث التى أجمع العلماء على عظم موقعها وعدوها من الأحاديث التى عليها مدار الاسلام(٨) ، قال بعضهم هو ثلث الاسلام فالاسلام يدور عليه وعلى حديث **انما الأعمال بالنيـــات** وحديث **من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه** وقال بعضهم بل يدور الاسلام على أربعة أحاديث الثلاثة المذكورة وحديث **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**(٩)· أما سبب عظم موقعه فلأجـل اشتماله على صـــلاح المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغير ذلك ·

هذا وقد بين هذا الحديث طريق معرفة الحلال وحذر من مواقعة الشبهات وأوضح ذلك بضرب المثل بما يعرفه الناس فى حياتهم اليومية · ثم أشار

---

(٨) راجع هذا الحديث فى جامع العلوم والحكم من حيث معناه ص ٦٣ ·
(٩) راجع شرح الشبرخيتى ص ١١١ ·

الى أهم الأمور وهو مراعاة القلب ذلك العضو العضلى ألهام فى الانسان هذا ومنه ظهر لنا ان الأشياء على ثلاثة أقسام :

١ ـ حلال واضح لا خفاء ولا غموض فى حله وجوازه مثل أكل الخبز والفواكه والكلام والمشى وغير ذلك ٠

٢ ـ حرام بين ظاهر كالخمر والدم والزنا والكذب وما شاكل ذلك ٠

٣ ـ أشياء غير واضحة الحل ولا ظاهرة الحرمة ، وهذه هى التى سميت بالمشتبهات أو المتشابهات لذلك لا يعرفها كثير من الناس الا أن العلماء يعرفونها بنص أو قياس ، فاذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن نص ولا اجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعى ، وعند ذلك يصير حلالا أو حراما ، وقد يكون الدليل غير واضح فيكون الورع تركه ٠

أما اذا لم يظهر للمجتهد فيه شيء فهناك ثلاثة أقوال : قيل انه يؤخذ بالحل وقيل بالحرمة ، وقيل يتوقف عنه ٠ ثم ما هى المشتبهات التى ينبغى اجتنابها وردت فى ذلك أقوال :

الأول : ان المشتبه هو الذى تعارضت فيه الأدلة فمثل هذا يجب الوقف فيه الى حين الترجيح ، لأن الاقدام على أحد الأمرين من غير رجحان الحكم بغير دليل محرم ٠

الثانى : قيل المراد به المكروهات ، ويدخل فيه مواضع اختلاف العلماء٠

الثالث : انه المباح ، هذا قد نوقش ويمكن الرجوع اليه فى شرح عمدة القارىء للعينى(١٠) ٠

ثم لماذا طلب اجتناب الشبهات قيل ان السبب يرجع الى أحد أمرين :

١ ـ اذا عود الانسان نفسه عدم التحرز مما يشتبه أثر ذلك فى استهانته بالمحرم مع العلم به ٠

٢ ـ ان من أكثر الوقوع فى الشبهات أظلم قلبه لفقدان نور العلم والورع فيقع فى الحرام ولا يشعر به ، نسأل الله السلامة من ذلك ٠

والله أعلم ٠٠

---

(١٠) جـ ١ ص ٣٠٠ ٠

الحـديث الثانى عشر

عن عائشة رضى الله عنها : أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن يجترىء عليه ، الا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب قال : أيها الناس انما ضل من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها .

أخرجه البخارى فى كتاب الحدود وفى كتاب الشهادات وفى كتـــاب المغازى وكتاب الأنبياء وفى الفضائل ومسلم فى الحدود كما أخرجه أبو داود والنسائى فى القطع . وابن ماجة فى الحدود والدارمى فى الحدود .

المفردات اللغوية :

قريشا : القبيلة المشهورة ولكن الظاهر أن المراد بهم من أدرك القصة ساعة وقوعها بمكة(١) .

أهمتهم : جلبت اليهم هما بسبب ما وقع منها فأقلقهم ، المعنى : أهمهم شأن المرأة التى سرقت ، والسرقة وقعت فى غزوة الفتح وفى بعض الروايات نفس العبارة أهمهم شأن المرأة(٢) .

المرأة : هى فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهى بنت أخى أبى سلمة بن عبد الأسد الصحبابى الجليل الذى كان زوج أم سلمة قبل النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبوها قتل ببدر قتله حمزة بن عبد المطلب ، وأم سلمة هذه بنت عـــم المذكور أبوها سفيان بن عبد الأسد(٣) .

---

(١) عمدة القارى جـ ٢٣ ص ٢٧٧ و جـ ١٣ ص ٢١١ .
(٢) راجع نص مسلم النووى جـ ١١ ص ١٨٦ .
(٣) عمدة القارى جـ ٢٣ ص ٢٧٧ .

من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى من يشفع عنده فى أمرها حتى لا تقطع يدها بعفو أو فداء ، وأمر الفداء جاء فى حديث مسعود بن الأسود ، بأن قالت قريش انها تفديها بأربعين أوقية ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : تطهر خير لها ٠

من يجترى عليه : أى من يجد الجرأة الكافية للاقدام على هذا الأمر ،

حب : بكسر الحاء بمعنى محبوب ، ولهذا خصوا أسامة ٠

شفع : بالتخفيف طلب الشفاعة ، وبالتشديد قبل شفاعته ٠

أيم الله : الهمزة فيه للوصل فهو اسم جمع يمين وضع للقسم ، وحذف منه النون ، وربما حذف الياء أيضا وأبقيت الضمة على الميم وقيل وأم الله ٠
واليمين لغة يطلق على الجارحة المعروفة ومن معناه أيضـــا القوة والقدرة ٠
وشرعا : تقوية أحد طرفى الحكم بالمقسم به أو تحقيق ما يجب وجوده بذكر اسم الله(٤) ٠

الشريف : أى الوجيه ذو المكانة ٠

ثم ما اليد التى تقطع أهل اليمين أم الشمال ؟ لأن الآية الكريمة تقول : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)(٥) حيث لا نتبين فى الآية اليد التى تقطع كما أننا لا نعرف هل هى واحدة أو كليهما ، الا أنه يظهر لنا المقصود بقراءة ابن مسعود وهى (والسارق والسارقة فاقطعوا ايمانهما) حيث تنص على اليمين ، ومعلوم أن لكل من السارق والسارقة يمين واحدة ، والعمل النبوى زاد ذلك بيانا وتوضيحا حيث قطعت اليمين ٠

والسرقة : على وزن فعلة بفتح الفاء وكسر العين وهى من باب ضرب ومعناها فى اللغة : أخذ الشىء خفية بغير اذن صاحبه مالا كان أو غيره ، وفى الشرع هى أخذ مكلف خفية قدر عشرة دراهـــم مضروبة محرزة بمكان أو حافظ(٦) ٠

---

(٤) عمدة القارى جـ ٢٣ ص ١٦٣ ، ٢٧٧ ٠
(٥) سورة المائدة آية ٣٨ ٠
(٦) عمدة القارى جـ ٢٣ ص ٢٧٧ ٠

أما المقدار الذى تقطع اليد من أجله فقد اختلفت فيه ٠

الظاهرية يقولون تقطع فى القليل والكثير ولا نصاب له٠ وعند الحنفية من عشرة دراهم ، وعند الشافعية ربع دينار ، وعند المالكية من قدر ثلاثة دراهم وروى عن أبى هريرة انه **قال لا تقطع الا فى أربعة دراهم فصاعدا**(٧) ٠ وقيل غير ذلك وقد قطعت فى نصف درهم ٠

هذا وقد وقع الخلاف فى مكان القطع أيضا : قطع على بن أبى طالب السارق من الكف ٠

وحكى القطع من الابط الا أنه وصف بأنه بعيد وعجيب وروى أن عمر رضى الله عنه يقطع من المفصل وأن عليا قطع من المفصل ، وقيل أن عليا كان يقطع من يد السارق الخنصر والبنصر والوسطى خاصة ويقول استحى من الله أن أتركه بلا عمل ٠

أما بالنسبة للمقدار الذى تقطع اليد فيه فاليك بالقول الفصل **قالت عائشة قال النبى صلى الله عليه وسلم تقطع اليد فى ربع دينار فصاعدا ٠**

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم(٨) ٠

الاعراب :

ان قريشا : ان واسمها ، **أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت** جملة الفعل والفاعل وصفاته والمفعول خبر ان ، **فقالوا** الفاء سببية **من يكلم من** استفهامية مبتدأ **يكلم** فعل مضارع فاعله **أسامة** وحب صفة لأسامة ، والجملة **خبر المبتدأ** الذى هو **من** ومثله **ومن يجترىء عليه ٠ فكلم رسول الله** فاعل كلم ضمير يعود الى أسامة **ورسول الله** مفعول به **أتشفع فى حـــد ٠٠** الهمزة للاستفهام الانكارى **انما ضل من قبلكم أنهم كانوا ٠٠ ٠ انما** كاف ومكفوف ٠ وضل فعل ماض **من** موصولة مفعول ضل والفاعل هو جملة **أنهم كانوا الخ** أى أن وما دخلت عليه **أى كونهم كذا وكذا ٠ وأيم الله** أيم اسم وضع للقسم

---

(٧) نفس المرجع جـ ٢٣ ص ٢٧٨ ٠

(٨) يمكن مراجعة هذا الحديث فى المواقع الآتية : عمدة القارى جـ ٢٣ ص ٢٧٦ وما بعدها وجـ ١٣ ص ٢١١ وجـ ١٧ ص ٢٩١ وشرح النووى على صحيح مسلم جـ ١١ ص ١٨٦ وما بعدها٠

وهو واجب الرفـــع اما على أنه مبتدأ وخبره محذوف أو على أنه خبر لمبتـدأ محذوف ٠

لو حرف امتناع لامتناع **أن فاطمة بنت محمد سرقت** ان واسمها وخبرها جملة شرط للو **لقطع محمد يدها** جواب الشرط واللام واقعة فى الجواب ٠

البلاغة :

١ ـ صدر الكلام بالتأكيد لبيان أهميـــة الخبر ، وفى جملة **من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم :** قصر لأن **من** متضمنة معنى النفى ٠

٢ ـ وجملة **صلى الله عليه وسلم** خبرية لفظا انشائية معنى وعكسها جملة أتشفع فى حد من حدود الله فهى انشائية لفظا خبرية معنى ٠

٣ ـ وهناك قصر آخر فى قوله : **انما ضل من قبلكم أنهم كانوا الخ** عن طريق **انما** أما سبب القسم والتأكيد فى كلامه صلى الله عليه وسلم ، فهو اصرارهم على السعى لتفادى تنفيذ حد من حدود الله مما يظهرهم بمظهر المنكر الذى يجب أن يؤكد له الخبر ٠

٤ ـ وفى الجملة الأخيرة تجريد وهى **فاطمة بنت محمد ، ولقطع محمد يدها** ٠ لأنه صلى الله عليه وسلم هو المتحدث ٠

٥ ـ وفى نفس الجملة ورد الاظهار فى مكان الاضمار لتكرير اسمه صلى الله عليه وسلم فى بعض الروايات ٠

٦ ـ وهناك حذف عند قوله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها ٠ والمحذوف هو ثبوت السرقة عنده صلى الله عليه وسلم(٩) ٠

المعنى :

ان امرأة مخزومية سرقت قطيفة أو حليا أو كلاهما بعد فتح مكة ورسول

---

(٩) راجع الحديث فى عمدة القارى جـ ١٧ ص ٢٩١ ٠

الله صلى الله عليه وسلم ما زال بمكة ووصل الخبر اليه صلى الله عليه وسلم ، ثم حاولت قبيلة قريش أو من كان حاضرا انقاذها من الحد ، عن طريق جمع أربعين أوقية كفدية ليدها ، وقدموها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه قال لهم **تطهر خير لها** ، كما حاولوا التشفع لها عن طريق حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن يزد ، الذى تقدم الى رسول الله يتشفع ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم أنكر ذلك منه لأنه حد من حدود الله ، فبين أن ذلك لو حدث من أعز الناس اليه وهىفاطمة بنته لقطع يدها ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يدها بعد أن ثبت انها سرقت ، وقيل ان الذى قطع يدها هو بلال وقيل يجوز أن يكون غيره ، هذا وقد تابت هذه المرأة وحسنت توبتها وتزوجت وكانت تأتى بعد ذلك الى عائشة فترفع حاجتها الى النبى صلى الله عليه وسلم .

الحـديث الثالث عشر

عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة ، قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ٠

أخرجه مسلم وهو من أفراد مسلم وأخرجه الترمذى أيضا ٠

من رجاله تميم الدارى وقد اختلف فى نسبته فنسب بالألف الدارى وبالياء الديرى كما اختلف فيما نسب اليه قيل الى جد من أجداده وهـو الدارين هانيء وقيل هو نسبة الى دير كان فيه قبل الاسلام وكان نصرانيا وعلى هذا أكثر العلماء ٠ ومنهم من قال الدارى نسبة الى دارين وهو مكان عند البحرين وهو محط السفن ومنهم من جعله بالياء نسبة للقبيلة الا أنه بعيد وشاذ ، وليس فى الصحيحين والموطأ دارى ولاديرى الا تميم وكنيته أبو رقيبة أسلم سنة تسع وكان بالمدينة ثم انتقل الى الشام فنزل ببيت المقدس ٠ وله منقبة شريفة وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه قصة الجساسة وبذلك يدخل فى رواية الأكابر عن الأصاغر(١) والله أعلم ــ قال ابن الأثير(٢) فى مادة جسس : ومنه حديث تميم الدارى أنا **الجساسة** يعنى الدابة التى رآها فى البحر ، وانما سميت بذلك لأنها تجس الأخبار للدجال وفى القاموس المحيط والجساسة دابة تكون فى الجزائر تجس الأخبار فتأتى بها للدجال ٠

هذا وليس لتميم الدارى غير هذا الحديث لا فى صحيح مسلم ولا فى صحيح البخارى(٣) وقيل انه نسى كثيرا من أحاديثه لموت أخيه ، وقال ابن معين لا يحتج به ونسبه بعضهم لسوء الحفظ ، لذلك لم يخرج له البخارى ، وقد أخرج له الأئمة الأربعة ومسلم وقال ابن عدى هو عندى ثبت لا بأس به مقبول الأخبار ٠

---

(١) راجع شرح النووى جـ ١ ص ١٤٢ ٠

(٢) النهاية مادة (جسس) ٠

(٣) النووى جـ ٢ ص ٢٧ ٠

المفردات :

النصيحة : كلمة جامعة يعبر بها عن جملة ومعناها ارادة الخير للمنصوح له ، وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع هذا المعنى غير هذه الكلمة ، وقال النووى(٤) معناها حيازة الحظ للمنصوح له ٠

النصح فى اللغة : الخلوص يقال نصحه ونصحت له ، ومعنى نصيحة الله : صحة الاعتقاد فى وحدانيته واخلاص النية فى عبادته(٥) والمنصحة بكسر الميم الابرة والنصاح : بكسر النون وتخفيض الصاد : الخيط ، الناصح : الخياط(٦) ٠

والنصيحة لكتابه : هو التصديق به والعمل بما فيه ، ونصيحة رسوله : التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه ٠

البلاغة :

١ ـ فى الحديث حصر وهو قوله صلى الله عليه وسلم **الدين النصيحة** وذلك عن طريق تعريف الطرفين ومعنى الحديث عند النووى يدل على أن القصر حقيقى ويدل كلام صاحب فتح البارى على أن القصر اضافى اذ يقول **يحتمل أن يحمل على معنى معظم الدين** وذلك على سبيل المبالغة كما فى قوله صلى الله عليه وسلم **الحج عرفة** وكما يجوز أن يكون حقيقيا لأن كل عمل لم يرد به عامله الاخلاص فليس من الدين(٧) ٠

٢ ـ وهناك استعارة فى كلمة **النصيحة** لأن معناها مأخوذ من النصح وهو الخياطة ، فشبه عمل الناصح فيما يتحراه من اصلاح حال المنصوح له وتوجيهه الى الخير ، بما يسده من يخيط الثوب من الخلل ، ثم استعيرت كلمة النصح لمعنى اصلاح حال الرجل ثم اشتق من النصح النصيحة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وقيل انها مأخوذة من نصحت العسل اذا صفيته من المشمع ، فشبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط ، فيكون فيها أيضا استعارة تصريحية تبعية كما سبق ومنه التوبة

---

(٤) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٧ ٠
(٥) راجعها فى جامع العلوم والحكم ص ٧٣ ٠
(٦) الشيرخيتى ص ١٢٤ ٠
(٧) فتح البارى جـ ١ ص ١١٣ ٠

النصوحة كان الذنب يمزق الدين ، والتوبة تخيطه والدين هو الثوب وشبه به لأنه يستر الانسان اذا كان متمسكا به ، يستره فى الدنيا والآخرة ٠

من هنا ندرك لماذا قال العلماء ان هذه الكلمة منوجيز الأسماء ومختصر الكلام ٠

اذن من هنا نصل الى أن فيها ايجازا بلاغيا انتهى الى كلمتين جامعتين لجميع الأمور فيما يتعلق بالدنيا والآخرة والفرد والجماعة وعلاقة العبد بربه ، والأمور القولية والفعلية والاعتقادية فليس فى كلام الناس ما هو أجمع لخيرى الدنيا والآخرة منها وهى من مبتدأ وخبر ، فهى اذن من جوامع الكلم وقد قالوا مثل ذلك فى كلمة الفلاح حيث جمعت خيرى الدنيا والآخرة ٠

٣ ـ كما أن فى الحديث تشويق كامن فى هذه الكلمة **النصيحة** التى كررت فى بعض الروايات ثلاث مرات مما جعل السامع ينيستفسرون وكان ذلك لزيادة تمكين المعنى فى أذهانهم لأهمية هذا الكلام ، ولا شك أن هذا أوقع فى النفس وأشد رسوخا فى الذهن ٠

وسنرى ذلك فى تفسير معناها وبيان أنواعها حسب ما أورده النووى مختصرا فقال(٨) :

١ ـ النصيحة لأ تعالى معناها منصرف الى الايمان به ونفى شريك عنه وترك الالحاد فى صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه سبحانه وتعالى من جميع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته والحب فيه والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ومعادات من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمته وشكره عليها ، والاخلاص فى جميع الأمور والدعاء الى جميع الأوصـــاف المذكورة ، والحث عليها والتلطف فى معاملة جميع الناس أو من أمكن منهم عليها ٠

وقال الخطابى فى حقيقة اضافة النصيحة الى الله عز وجل قال انهـــا راجعة الى العبد فى نصحه نفسه ، فالله تعالى غنى عن نصح الناصح ٠

٢ ـ النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى هو الايمان بأنه كلامه وتنزيله ،

---

(٨) النووى جـ ١ ص ٣٨ ـ ٤٠ ٠

لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد من الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها والخشوع عندها واقامة حروفه فى التلاوة والذب عنه ، من تأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بمـــا فيه ، والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه والتفكر فى عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصومه ، وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء اليه ، والى ما ذكرنا من نصيحته .

٣ - النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم هو تصديقه على الرسالة التى جاء بها والايمان بجميع ما جاء به وطاعته فى أمره ونهيه ونصرته حيا وميتا ، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه ، واعظام حقه صلى الله عليه وسلم ، وتوقيره ، واحياء طريقته ، وسننه وبث دعوته ونشر شريعته ، ونفى التهمة عنها ، واستثارة علومها والتفقة فى معانيها ، والدعاء اليها والتلطف فى تعليمها ، واعظامها والتأديب عند قراءتها والامساك عن الكلام فيها بغير علم ، واجلال أهلها لانتسابهم اليها والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع فى سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك .

٤ - النصيحة لأئمة المسلمين يكون بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف واعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم ، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم فى الحق .

هذا وقال الخطابى ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات اليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم اذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغروا بانثناء الكاذب ، وان يدعى لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بائمة المسلمين الخلفاء ، وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات(٩) .

ثم قال وقد يؤول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الـــدين ، وأن من نصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم فى الأحكام واحسان الظن بهم .

---

(٩) النووى ج ١ ص ٣٨ .

٥ ـ نصيحة عامة للمسلمين الذين هم من عدا ولاة الأمر ، نصيحتهم هى : ارشادهم لمصالحهم فى آخرتهم ودنياهم ، وكيف الأذى عنهم ، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه ، بالقول والعمل ويستر عوراتهم ويسد خلاتهم ويدفع المضار عنهم ويساعد فى جلب المنافع لهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، برفق واخلاص ويشفق عليهم ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم ، وأن يترك غشهم وحسدهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه ، وأن يذب عن أموالهم وأعراضهم ، ونحو ذلك(١٠). هذا ولم تكرر اللام فى وعامتهم اكتفاء بها فى الأئمة لأن العامة تابعين لهم .

هذا وقد كان فى السلف رضى الله عنهم من تبلغ به النصيحة الى الاضرار بدنياه ، وفقنا الله فى القيام بهذه الواجبات ، آمين ..

---

(١٠) يمكن الاطلاع على أكثر من هذا فى جامع العلوم والحكم ص ٧٣ ـ ٧٨ ، وفى شرح الأربعين النووية للشبرخيتى ص ١٢١ .

الحـديث الرابع عشر

عن جويرية عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها اذ هى حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض .

وفى رواية **عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم عذبت امرأة فى هرة أوثقتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاس الأرض .**

وفى رواية لأبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **دخلت امرأة النار من جراء هرة لها أو هر ربطتهـــا فلا هى أطعمتها ولا هى أرســـلتها ترمم من خشاش الأرض حتى ماتت هزلا(١) .**

أخرجه مسلم فى البر والبخارى فى المساقاة وفى الأذان والنسائى فى الكسوف وابن ماجة فى الاقامة .

المفردات :

فى هرة : بسبب هرة وكذلك دخلت فيها النار أى بسببها .

خشاش الأرض : الخشاش بتثليث الخاء وهى هوام الأرض وحشراتها .

وقد رويت تأكل من حشرات الأرض ، ووردت حشاش بالحاء المهملة ، والصواب بالمعجمة ، كما قيل ان معناها نبات الأرض الا أنه ضعيف(٢) ،

---

(١) من رواية البخارى : عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الكسوف فقال : دنت منى النار حتى قلت : أى رب وأنا معهم ، فاذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة قال ما شأن هذه ؟ قالوا حبستها حتى ماتت جوعا . راجع عمدة القارى جـ ١٢ ص ٢٠٨ ومعها رواية ابن عمر بعدها فى ص ٢٠٩ .

(٢) النووى جـ ١٤ ص ٢٤٠ .

وفى حديث معاوية من حشرات الأرض ، من جراء هرة : معناها من أجل هرة وكلمة جراء تمد وتقصر يقال من جرائك ومن جراك وجريرك كلمة بمعنى واحد ٠

ترمم : ورد ترمرم : أى تتناول ذلك بشفتيها ٠

المعنى : ظاهر الحديث أن هذه المرأة التى دخلت النار كانت مسلمة وانما دخلت النار بسبب ما فعلته بالهرة مما يدل على قسوة القلب ، وهذا يذكر بحديث الا أن فى الجسد مضغة ٠٠٠ السالف الذكر ٠

هذا وذكر القاضى أنه يجوز أن تكون كافرة عذبت بكفرها وزيد فى عذابها هذا بسبب الهرة واستحقت ذلك لكونها ليست مؤمنة تغفر صغائرها باجتناب الكبائر ٠

الا أنهم ردوا على ذلك بقولهم الصواب انها مسلمة كما هو ظاهر الحديث وهذه المعصية التى ارتكبتها ليست صغيرة بل صارت كبيرة بسبب اصرارها كما انه ليس فى الحديث ما يدل على انها تخلد فى النار ٠

مما يؤخذ من الحديث :

١ ـ تحريم قتل الهرة ٠

٢ ـ تحريم حبسها من غير طعام ولا شراب ٠

٣ ـ وجوب نفقة الحيوان على مالكه ٠

٤ ـ انها مملوكة لها لاضافتها اليها باللام التى هى للملك ٠

٥ ـ أن النار مخلوقة وموجودة ٠

٦ ـ أن بعض الناس معذب اليوم فى جهنم ٠

والله أعلم ٠

الحـديث الخامس عشر

عن ربيعة عن أبى عبد الرحمن عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه سمعه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق وليس بالآدم ، وليس بالجعد القطط ولا بالسبط ، بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين ، فتوفاه الله وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

أخرجه البخارى فى المناقب وفى اللباس ومسلم فى الفضائل والترمذى فى المناقب والنسائى فى الزينة والموطأ فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم .

المفردات :

ليس بالطويل ولا بالقصير وردت فى رواية أخرى هذه الصفة كان ربعة ، والمعنى واحد لأنه يقال رجل ربعة وامرأة ربعة بمعنى ليس بالطـــويل ولا بالقصير والتأنيث باعتبار النفس أعنى تأنيث لفظ ربعة(١) .

البائن المفرط فى الطول مع اضطراب القامة ، والرجل المربوع هو الذى يميل الى الطول .

واصل البائن : هو الذى ظهر على غيره أو فارق من سواه .

الأبيض الأمهق : المهق خضرة الماء أو البيـــاض الجصى ، وكذلك **الأمقة** وقيل هو بياض فى زرقة ، وقيل أنه الشديد البياض والبياض السمج الذى لا يخالطه حمرة ولا صفرة فهو ليس بنير ، المعنى أن بياضه تخالطه حمرة ، والعرب تطلق على كل من كان كذلك **أسمر** ولهذا جاء فى حديث أنس الذى أخرجه أحمد والبزار(٢) أن النبى صلى الله عليه وسلم كان **أسمر** فالمـــراد بالسمرة هو الحمرة التى تخالط البياض ، اذن المنفى هو البياض الذى لا تخالطه حمرة ويسمى أمهق .

---

(١) النووى جـ ١٥ ص ٩٠ .

(٢) عمدة القارى جـ ١٦ ص ١٠٥ .

وليس بالآدم وفى القـــاموس الأدمة فى الابل لون مشرب سوادا أو بياضا أو هو البياض الواضح ، وفى الظباء لون مشرب بياضا وقينا السمرة هذا وقد ورد فى بعض الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم **وكان أسمر اللون** وفى أخرى **أزهر اللون** وعند النظر يظهر من مجموعها أن المراد بالسمرة هو الحمرة التى تخالط البياض ، وهو معنى أزهر اللون والبياض المثبت له صلى الله عليه وسلم هو البياض الذى تخالطه حمرة والمنفى ما لا تخالطه · **وليس بالجعد القطط** : الشعر الجعد هو الذى يتكسر ولا يسترسل المنقبض كهيئة الحبش والزنج(٣) ·

والقطط هو شديد الجعودة ، ويقول صاحب التلويح هـــو شبيه بشعر السودان(٤) · (ولاسبط) بسكون الباء وكسره مع فتح السين وهو ضد الجعودة ، الذى يسترسل لا ينكسر فيه شىء لغلظه كشعر الهنود(٥) · اذن شعره صلى الله عليه وسلم وسط بين الجعودة والسبوطة بمعنى أن شعره فيه جعدة بصقلة ·

بعثه الله وهو ابن أربعين سنة أى بدأ نزول الوحى عليه وعمره أربعون وهذا هو قول الأكثرين حيث وقع فى ذلك خلاف قيل(٦) ·

١ ـ ان عمره أربعين سنة كما قال الأكثرون ·
٢ ـ انه بعد أربعين سنة وعشرة أيام ·
٣ ـ وقيل أربعون سنة وشهرين يوم الاثنين ١٧ من رمضان ·
٤ ـ وقيل أربعون سنة وعشرون يوما من عمره صلى الله عليه وسلم·
٥ ـ وقيل بعد اثنين وأربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم ·
٦ ـ وقيل بعد ثلاث وأربعين سنة ·
٧ ـ وقيل خمس وأربعون سنة ·

والجمع بين هذه الأقوال هو بالنظر الى حين حمى الوحى وتتابع ·

هذا وقد اختلف أيضا بالنسبة لليوم الذى بدأ فيه نزول الوحى قيل

---

(٣) عمدة القارى جـ ٢٢ ص ٥١ ·
(٤) المرجع السابق جـ ١٦ ص ١٢٥ ·
(٥) المرجع السابق جـ ٢٢ ص ٥١ ·
(٦) راجع عمدة القارى جـ ١٦ ص ١٠٦ ·

هو يوم الاثنين ، وكذلك الشهر قيل هو فى شهر رمضان وقيل فى ربيع الأول وقيل فى رجب ٠

ويؤرخ ذلك بسنة احدى وأربعين من عام الفيل ٠ أو على رأس خمسة عشر سنة من بناء الكعبة المشرفة ٠

أما القول بأنه أقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فمبنى على ترك الكسور فالمتفق : هو أن عمره ثلاث وستون سنة ٠

الاعراب :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول لله اسم كان وخبرها هـو **ليس** واسمها وخبرها ٠ أما اسم **ليس** فهو الضمير المستتر وخبرها بالطويل وكثيرا ما دخل الباء فى خبر **ليس** والباقى معطوفات والأمر ظاهر ٠

وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فى رأسه خبر ليس مقدم وعشرون اسمها مؤخر وشعرة تمييز بيضاء صفة ٠

المعنى :

انه صلى الله عليه وسلم كان طويلا الا أن طوله لم يكن من النوع البائن المفارق المضطرب ، وكان فى اللون أبيض الا أن بياضه مشرب بالحمرة ، كما أن شعره كان بين الجعد والسبط أى كان مسترسلا بصقلة فهو وسط بين الجعودة والسبوطة ، وعاش صلى الله عليه وسلم **حسب ما ورد فى حديث لعائشة وما اتفق عليه أكثر العلماء** ثلاثا وستين سنة ، ومع ذلك لا يوجد فى شعر رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء صلى الله عليه وعـــلى آله وصحبه وسلم ٠

الحـديث السادس عشر

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله .

وفى رواية عن أبى هريرة قال ، **قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم ، قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك ؟ قالت بلى . قال فذاك لك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اقرأوا ان شئتم :** (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) ، تليها الآيتين الآتيتين : (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)(١) . هذه هى رواية مسلم واليـــك برواية البخارى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحق الرحمن فقال له : مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب . قال : فذاك . قـــال أبو هريرة : اقرأوا ان شئتم : (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم)(٢)

وفى رواية للزهرى انه صلى الله عليه وسلم قال : **لا يدخل الجنة قاطع رحم .**

أخرجه الامام مسلم فى كتاب البر . والبخارى فى الأدب - وفى أول الزكاة وفى تفسير القرآن (فى سورة محمد) .

المفردات :

الرحم واضح أن الرحم الموصوفة بالوصل والقطع ليس هو العضـــو المعروف وانما هو معنى من المعانى اذ هى القرابة والنسب الذى تجمعه رحم الوالدة الواحدة .

---

(١) سورة محمد آية ٢٢ - ٢٤ .

(٢) راجع عمدة القارى جـ ١٩ ص ١٧٢ و جـ ٢٢ ص ٩٢ .

العائذ : المستجير والمستعيذ وهو المعتصم بالشيء الملتجيء اليه طلبا للحماية . **الصلة** قالوا حقيقة الصلة العطف والرحمة ، أما صلة الله عز وجل فهى عبارة عن لطفه ورحمته لمواصل باحسانه أو صلته بأهل ملكوت الله وشرح صدر الواصل لمعرفته وطاعته .

خلق الخلق : يحتمل أن يكون المراد خلق جميع المخلوقات ويحتمل أن يكون المراد به المكلفين .

حتى اذا أفرغ : المراد بالفراغ قضاؤه واتمامه .

قالت الرحم : يحتمل أن يكون هذا القول بعد خلق السموات والأرض أو بعد خلقها أو بعد انتهاء خلق أرواح بنى آدم عند قوله تعالى (ألست بربكم) لما أخرجهم من صلب آدم عليه السلام مثل الذر .

بحقو الرحمن فى رواية **بحقوى** بالتثنية والحقو : بفتح الحاء المهملة وسكون القاف : الازار والخصر ومشد الازار وجاء الكلام على عادة العرب لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدفع(٣) .

قال له : مه : أى قال الرحمن للرحم مه : أى أكفف قالت النحاة مه اسم فعل معناه الزجر ، قال ابن مالك هى هنا ما الاستفهامية حذفت ألفها ووقف عليها بهاء السكت .

الاعراب :

الرحم : مبتدأ معلقة بالعرش خبر المبتدأ ، تقول جملة فعيلة حال **من وصلنى وصله الله** من مبتدأ وصلنى صلة الموصول ووصله الله خبر والجملة فى محل نصب مقول القول ، وكذلك **ومن قطعنى قطعه الله** لأنها معطوفة .

البلاغة :

١ــ فى (لفظ) الرحم استعارة بالكناية حيث شبهت الرحم بالانسان ثم حذف المشبه به وهو الانسان ورمز اليه بلازم من لوازمه وهو الكلام ، والقرينة هى اثبات هذا اللازم للمشبه وهذا الاثبات هو المسمى بالاستعارة

---

(٣) عمدة القارى جـ ١٩ ص ١٧٢ .

التخييلية ويمكن تشبيه الرحم بشيء محسوس يعلق وتكون أيضا استعارة مكنية ٠

٢ ـ وفى **من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله** يمكن أن تجرى الاستعارة السابقة وذلك بتشبيه الرحم التى هى معنى من المعانى بالحبل ثم حذف المشبه به الذى هو الحبل واثبات لازم من لوازمه للمشبه وهو الوصل والقطع على سبيل الاستعارة بالنابة ، هذا ويمكن أن تكون الاستعارة تبعية وذلك عن طريق تشبيه المعنى المذكور أى تشبيه القيام به بوصل الحبل وعدم القيام به بقطعة ثم حذف المشبه الذى هو المعنى المذكور واستعير له لفظ الوصل والقطع ثم اشتق من الوصل والقطع وصلنى وقطعنى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ٠

٣ ـ هذا وفى **لفظ الصلة نفسه** يمكن أن تكون فيه استعارة تبعية أو مكنية ، لما هو معروف من أن معنى صلة الرحم هو معنى من المعانى وقد مر فى شرح المفردات ٠

٤ ـ هناك مبالغة فى استعمال اسم الاشارة للاشارة الى المعنى الذى هو غير محسوس اذ أن الأصل أن تكون الاشارة للمحسوس وذلك مبالغة فى الدلالة على ظهور هذا المعنى الى درجة أنه أصبح كالمحسوس ويستحق أن يشار اليه كما يشار الى المحسوس ٠

٥ ـ ومبالغة أخرى فى الحديث برواية البخارى عند تثنية الحقو لأن الأخذ بيدين فيه زيادة تأكيد فى الاستجارة من الأخذ بيد واحدة حيث تظهر فيه شدة طلب الاستجارة ٠

٦ ـ والاشارة فى **فذاك** الى المعنى القريب بما هو موضوع للبعيد فيه بيان لبعد المكانة والرتبة بسبب الأهمية التى ألقيت عليها لاستحقاقها وصل الرحمن من وصلها وقطعه من قطعها ٠ وهى درجة عظيمة تظهر فضيلة الواصل ومقدار عظم اثم القاطع ٠

٧ ـ وفى الوصل من الله والقطع منه تعالى كناية عن عظيم احسانه لمن وصل حرمان الاحسان لمن قطع(٤) ٠

---

(٤) عمدة القارى جـ ٢٢ ص ٩٣ ٠

٨ - هذا ويمكن اعتبار الحديث كله من باب الاستعارة التمثيلية وذلك بأن يكون قد شبه حال الرحم وما هى عليه من الافتقار الى الصلة والذب منها من القطيعة ، بحال مستجير يأخذ بذيل المستجار به وحقو ازاره ، ثم أدخل صورة حال المشبه فى جنس المشبه به واستعمل فى حال المشبه ما كان مستعملا فى المشبه به من الألفاظ بدلائل قرائن الأحوال ٠

وجاء بهذه الصورة نظرا لقرب الصورة المحسوسة الى فهم البشر وهى أمكن فى نفوسهم ٠

٩ - وفى الحديث وصل وهو العطف بالـــواو بين جملة **من وصلنى وصله الله** وجملة **من قطعنى قطعه الله** حيث اتحد الفاعل ونوع الجملة من حيث الخبرية والانشائية ، لأن الجملتين خبريتين لفظا انشائيتين معنى ٠ لأنهما دعائيتان ٠

١٠ - وفيه طباق فى الوصل والقطع ٠

١١ - كما أن فيه سجع ظاهر لا يحتاج الى شرح ٠

المعنى :

ظاهر أن الحديث بأسلوبه هذا حسب ما قاله النووى(٥) المقصود به هو معنى من المعانى ليس الجسم والعضو وانما هى القرابة والنسب يتصل بعضه ببعض فلما كان المعنى لا يتأتى قيامه وكلامه فيكون ذلك ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك لأن المراد هو تعظيم شأنها وبيان فضيلة واصلها ، وعظيم اثم قاطعها كما مر بنا ، هذا ويجوز أن يكون المراد قام ملك من الملائكة وتعلق بالعرش وتكلم على لسانها بأمر الله تعالى فيكون الكلام حقيقة ويكون المجاز فى الاسناد ٠

بقى أن نعرف حكم الصلة وحدود تلك الصلة(٦) :

١ - أما الحكم فهو الوجوب بلا خلاف فصلة الرحم واجبـــة فى الجملة وقطيعتها معصية كبيرة ، الا أن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض ، أدناها ترك المهاجرة وصلتها قد يتم بالكلام ولو بالقاء السلام الا أن الحالة

---

(٥) شرح النووى على مسلم جـ ١٦ ص ١١٢ ، ١١٣ ٠

(٦) راجع عمدة القارى جـ ١٩ ص ١٧٣ و جـ ٢٢ ص ٩٣ والنووى جـ ١٦ ص ١١٣ ٠

تختلف من حيث القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحب · لو وصل الانسان بعض الصلة ولم يصل الغاية لا يسمى قاطعا ، وبالعكس لو قصر الشخص عما يقدر عليه وينبغى له ، لا يسمى واصلا ، فالمقدرة مرعية ·

٢ ـ أما حدوده فقد اختلفوا فيه على قولين :

الأول : يرى أن الحد الذى تجب صلة الرحم اليه : هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما ، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام والأخوال واحتجوا بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فى النكاح وجواز ذلك فى بنات الأعمام والأخوال ·

الثانى : يرى أن الحد يشمل كل رحم من ذوى الأرحام فى الميراث يستوى المحرم وغيره واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم : ثم أدناك أدناك ·

هذا وقد استصوب العلماء القول الثانى لحديث : ان أبر البر أن يصل أهل ود أبيه مع انه لا محرمية ·

أما عدم دخول الجنة بالنسبة لقاطع الرحم فهذا الحديث يتأول بتأولين :

أحدهما : حمل هذا الكلام على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها فهذا كافر يخلد فى النار ولا يدخل الجنة أبدا ·

والثانى : أن المعنى لا يدخل الجنة فى أول الأمر مع السابقين بل يعاقب بتأخيره القدر الذى يريده الله تعالى · والله أعلم ··

الحـديث السابع عشر

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ٠

وفى رواية أخرى له **ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ، وأشار بأصابعه الى صدره ٠**

أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة وابن ماجة فى الزهد وأحمد بن حنبل فى الجزء الثانى ٠

المفردات :

لا ينظر الى صوركم المقصود بالنظر هو مجازاته ومحاسبته(١) لأنه عز وجل مطلع على الخلق دائما وأبدا ، والصور الأشكال والصفات والأحـــوال الظاهرة أو الأموال من حيث الغنى والفقر وما الى ذلك ٠

والقلوب والأعمال : أى ما وقر فى القلوب واستكن فيها ، وقد استوفى ذلك بالشرح فى حديث : **ألا ان فى الجسد مضغة ٠**

الاعراب :

ان الله لا ينظر لفظ الجلالة اسم ان ولا نافية ينظر جملة فعلية خبر **ان الى صوركم وأموالكم** جار ومجرور ومعطوف والمتعلق به هو ينظر **ولكن** الواو عاطفة ولكن للاستدراك واعراب الباقى كاعراب مماثله السابق ٠

البلاغة :

أكد الخبر فى أول الحديث لبيان أهميته ويجوز أن يكون التأكيد لتنزيل خالى الذهن منزلة المنكر أو المتردد اذا وجد المقتضى لذلك لظهور ما يخالف

---

(١) النووى جـ ١٦ ص ١٢١ ٠

مضمون هذا الخبر . هذا ويمكن اعتبار اسمية الجملة فيكون فيها توكيدان . وفى (لا ينظر) استعمال مجازى لأن النظر هنا معناه كما سبق هو الجزاء والحساب أى اعطاء الانسان الخير فى ما ظهر من حاله .

هذا وفى الحديث وصل وهو العطف بالواو بين الجملتين لاتحادهما فى الخبرية لفظا ومعنى واتحاد الفاعل أيضا . وفيه طباق السلب بين لا ينظر ولكن ينظر ، وفيه سجع أيضا وهو فى صوركم وأموالكم ، قلوبكم وأعمالكم.

المعنى :

هذا الحديث يبين أن المسلم ينبغى أن يراجع نفسه ويحاسبها فى كل ما يقوم به من أعمال ليرى هل ما يقوم به يتفق مع الواجب الذى يطلب منه ليستطيع الابتعاد عن المظاهر والغرور بحطام الدنيا الزائلة .

ويعرف الانسان أن التقوى انما يكون فى القلب لا علاقة له بالمظاهر واتخاذ الشعارات ، فقد قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وهو يشير الى صدره وكرر ذلك ثلاث مرات تأكيدا لهذا المعنى فمعرفة عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته يكون فى هذا الموضع لا فى المال والملبس وغيره .

كما ينبه المسلم على أن عليه ألا يحتقر أخاه المسلم لأجل مظهره الخارجى وملبسه أو هيئته ، بحسب امرىء شرا أن يحقر أخاه المسلم وينسى قول الله عز وجل : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) ، اذن فان فقر الانسان ورقة حاله لا يستدعى احتقاره واقلال قيمته وبالتالى غنى الانسان وشكله ومظهره فقط لا يكون مدعاة للجزاء والاحسان عند الله يوم القيامة .

الحـديث الثـامن عشر

عن أبى بكر بن محمد أن عمرة حدثته أنها سمعت عائشة تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما زال جبريل يوصينى باجار حتى ظننت أنه ليورثنه ٠

وفى رواية لابن عمر رضى الله عنه(١) : **ما زال جبريل يوصينى باجار حتى ظننت أنه سيورثه ٠**

أخرجه الامام مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب ٠ والترمذى فى كتاب البر وابن ماجة فى الادب وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب ٠ كما أخرجه أحمد بن حنبل ٠

المفردات :

الجار قال القرطبى يطلق ويراد به الداخل فى الجوار ، ويطلق ويراد به المجاور فى الدار وهو الأغلب وهو المراد هنا ٠

أما حد الجوار فقد اختلف فيه فعن على رضى الله عنه من سمع النداء فهو جار وقيل من صلى معك الصبح فى المسجد فهو جار ، وروى عن عائشة رضى الله عنها حق الجوار أربعون دارا من كل جانب(٢) ٠

سيورثه أى يأمر عن الله بتوريث الجار من جاره ٠

الاعراب :

ما زال جبريل يوصينى وفى الرواية الأخرى : **ما زال يوصينى جبريل** فى كلا الروايتين جبريل اسم ما زال ويوصينى خبرها ، أما مؤخرا أو مقدما ،

---

(١) النووى على مسلم جـ ١٦ ص ١٧٦ وعمدة القارى جـ ٢٢ ص ١٠٨ ٠
(٢) عمدة القارى جـ ٢٢ ص ١٠٨ ٠

حتى غائية **ظننت** ظن واسمها **أنه سيورثه** ان واسمها وخبرها فى محل نصب بظن ويسد مسد مفعوليها ٠

البلاغة :

فى الحديث ايجاز بليغ وذلك نظرا لما فيه من معنى واسع عريض مع قلة الألفاظ ، وسوف يظهر ذلك عند الحديث عن معناه ، وفيه تأكيد فى **أنه سيورثه** كما أن فيه مبالغة فى بيـــان تشديد جبريل عليه السلام فى الاهتمام بحق الجار وهذا خرج مخرج المبالغة لزيادة الاهتمام بالحكم ٠ وفى الحديث الأول قرن التوريث بنون التوكيد الثقيلة المسبوقة بلام القسم ٠

المعنى :

رأينا حد الجوار والخلاف حول تحديده والآن بقى لنا معرفة من هو الجار وحقيقته وكيفية حفظ حقه فى الجوار ٠

أما الجار نفسه فهو مطلق أى سواء مسلما كان أو كافرا ، عابدا أو فاسقا صديقا أو عدوا ، غريبا أو بلديا أى من أهل البلد الذى أنت فيه ، ضارا أو نافعا قريبا أو أجنبيا ، قريب الدار أو بعيدها(٣) ٠

أما كيفيته : فهو يحصل بايصال ضروب الاحسان اليه بحسب الطاقة ، ويختلف باختلاف الجار نفسه ، فبالنسبة لكل من ذكر ، يلزم لحفظ حق الجوار المعاشرة بما يليق بحال كل واحد من ارادة الخير ودفع الضرر والنصيحة ونحو ذلك ٠ على سبيل المثال :

١ ــ قد يكون بالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند اللقاء ، وتفقد الحال ومعاونته فيما يحتاج اليه ٠

٢ ــ قد يكون بكف الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية ٠

٣ ــ قد يكون بارادة الخير وهذا يشمل الجميع وموعظته بالحسنى ان كان ممن يستحق ذلك ٠

٤ ــ قد يكون بالدعاء له بالهداية ان كان كافرا أو فاسقا ٠

---

(٣) عمدة القارى جـ ٢٢ ص ١٠٨ ٠

٥ - قد يكون بتوجيهه بالقول أو العمـــل ويختلف ذلك كله حسب الأحوال ٠

٦ - وبالنسبة لغير الصالح يكون بكفه عن الذى يرتكبه بالحسنى على حسب مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالكافر يعرض له الاسلام بطريقة حسنة ويبين له محاسن الاسلام ويرغبه فيه برفق ٠

٧ - الفاسق يعظه برفق وبما يناسبه فى المستوى الفكرى والاجتماعى ويستر عليه زلله عن غيره وينهاه برفق فان أفاد فيه والا يهجره قاصدا تأديبه على ذلك مع بيان السبب ليكف ٠

هذا وحفظ حق الجار من كمال الايمان فقد نفى صلى الله عليه وسلم الايمان عمن لم يأمن جاره بوائقه(٤) ، مبالغة فى تعظيم حق الجار وبيـــان أن الاضرار به من الكبائر ، فاذا كان أهل الجاهلية يحافظون عليه فما بالك بالمسلم المؤمن ، نسأل الله العون فى رعاية حق الجار هذا !!

---

(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله ؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه ٠ رواه البخارى راجع عمدة القارى جـ ٢٢ ص ١٠٩ ٠

الحـديث التاسع عشر

عن حكيم بن حزام(١) رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله .

أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا والرفاق والزكاة والنفقات . ومسلم فى كتاب الزكاة وأبو داود فى كتاب الزكاة والترمذى فى الزكاة والزهد والقيامة والنسائى فى الزكاة .

المفردات :

اليد العليا هى المعطية التى تنفق الا انه قد وردت فى ذلك أقوال :

١ ـ قيل اليد العليا المعطية للصدقة لانها تعلو يد الآخذ للصدقة .

٢ ـ قيل ان العليا هى **اليد المتعففة من السؤال فهى أعلى** درجة من السائلة .

٣ ـ قيل ان العليا هى اليد الآخذة فهى أكرم وأفضل من المالكة التى لا تنفق وذلك مبالغة فى ذم البخل .

٤ ـ العليا يد الله عز وجل والوسطى يد المتصدق والسفلى يد الآخذ المعطى الذى يسأل ، وورد بهذا المعنى أحاديث(٢) منه صلى الله عليه وسلم .

٥ ـ وقيل اليد هنا معناه النعمة ومعنى الحديث العطية الجزيلة خير من العطية القليلة ومعناه الحث على البذل والعطاء بالكثير ، فالعبارة جاءت بألفاظ

---

(١) حكيم بن حزام الأسدى المكى ولد فى باطن الكعبة عاش فى الجاهلية ستين وفى الاسلام أيضا ستين وأعتق مائة رقبة وحمل على مائة بعير فى الجاهلية وحج فى الاسلام ومعه مائة بدنة ووقف بعرفة مائة رقبة فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها عتقاء الله عن حكيم بن حزام وأهدى ألف شاة ومات بالمدينة سنة ستين أو أربع وخمسين . راجع العمدة جـ ٨ ص ٢٩٤

(٢) راجع العمدة جـ ٨ ص ٢٩٥ . والنووى على مسلم جـ ٧ ص ١٢٤ ـ ١٢٧ .

وجيزة لتدل على المعنى الكثير ، الا أننا نرى أنه لا داعى لذلك فالحديث بليغ وان ترك لفظ اليد على الحقيقة ، وسنعود على ذلك ان شاء الله ٠

بمن تعول أى من تجب عليك نفقته ، وعال أهله اذا مانهم وقام بما يحتاجون اليه من القوت والكسوة وغيرهما ٠

ظهر غنى زيدت كلمة ظهر هنا اشباعا للكلام ، والنفى الوارد فى الجملة هو لنفى الكمال لا لنفى المعنى(٣) لا صدقة كاملة الا عن ظهر غنى والغنى ضد الفقر المعنى ما أبقت غنىوذلك بأن يتصدق عن فضل قوت عياله وحاجته٠
يستعفف : يكف عن الحرام والطلب من الناس وقيل هو الصبر والنزاهة عن الشىء ٠

الاعراب :

اليد العليا مبتدأ وصفة **خير** خبر المبتدأ **من اليد السفلى** متعلق بخير **وأبدأ بمن تعول** فعل أمر والجار والمجرور متعلق به ، وتعول صلة الموصول والعائد محذوف أى تعوله ، **ومن يستعفف يغنه الله** من شرطية يستعفف فعل الشرط مجزوم **ويعفه** جواب الشرط وهو بضم حرف المضارعة وتشديد الفاء ٠ و **من يستغن يغنه الله** مثله فى الاعراب ٠

البلاغة :

اليد العليا مجاز ويمكن أن يكون مجاز بالحذف فتقول صاحب اليد العليا وكذلك فى اليد السفى أو من المجاز المرسل : من اطلاق الجزء وارادة الكل ، والعلو علو مجد وكرم ٠ والواو فى (وابدأ بمن تعول) للاستئناف لا للعطف والوصل وذلك نظرا لاختلاف الجملتين خبرا وانشاء لأن الأولى خبرية لفظا ومعنى ، والثانية انشائية لفظا ومعنى ٠

ظهر غنى هنا شبه الغنى بمطية ذات ظهر يمتطيه الانسان لينجو من الفقر والحاجة فحذف المشبه به واثبت لازم من لوازمه وهو الظهر للمشبه على سبيل الاستعارة بالكناية وتنكير غنى جاء على سبيل التعظيم(٤) ٠ واثبات اللازم تخييل ٠

---

(٣) راجع عمدة القارى جـ ٢١ ص ١٤ و جـ ٨ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ٠
(٤) راجع اللؤلؤ والمرجان جـ ١ ص ٢١٧ ٠

وفى الحديث طباق بين العليا والسفلى ، كما أن فيه شجع ظاهر ٠

المعنى :

هذا الحديث يحث على العطاء والبذل ويبيين فضل المعطى كما يرشد الى أن الاعطاء ينبغى أن يكون بعد الحصول على الكفاية للنفس ولمن يعوله المعطى حتى لا يترك أهله فى حاجة ليغطى حاجة الغير ، ثم بين الترتيب فى اعطاء الصدقة بأن يبدأ بنفسه ثم ابنه فوالدته ووالده وزوجته وأخته وأخيه ثم الأدنى فالأدنى على الخلاف المذكور ويمكن الرجوع اليه فى الامهات(٥) ٠ ونبه الحديث أيضا على أن من يطلب العفة من الله يعفه الله ويغنيه عن غيره من المخلوقات ويستره من الحرام ومن سؤال الناس اذا التزم الصبر والنزاهة ٠

ويؤخذ منه :

١ ـ كراهة السؤال اذا لم يكن من ضرورة مثل خوفه من الهلاك ، لقد قال بعض العلماء من كان له قوت يومه فسؤاله حرام ٠

٢ ـ وفيه غنى شاكر خير من الفقير وذكر فيه خلاف(٦) ٠

٣ ـ يؤخذ من الحديث اباحة الكلام للخطيب بكل ما يلح من موعظة وعلم وقربة لأن الحديث ورد خلال خطبة له صلى الله عليه وسلم ٠

٤ ـ فيه الحث على الصدقة والانفاق فى وجوه الطاعة نقول فى وجوه الطاعة ٠

٥ ـ يدعو الحديث الى التعفف ويذم المسألة ٠٠

٦ ـ يؤخذ منه أيضا أن حق نفس الرجل تقدم على حق غيره ليس لأحد اتلاف نفسه لاحياء غيره ٠

٧ ـ ان نفقة الولد والزوجة فرصة بلا خلاف ٠

---

(٥) راجع النووى ج ٧ ص ١٢٥ وعمدة القارى ج ٨ ص ٢٩٥ ٠

(٦) راجع ذلك فى عمدة القارى ج ٨ ص ٢٩٧ ٠

٨ ـ ان نفقة الخدم واجبة أيضا · حيث ورد كل ذلك نصا فى رواية أخرى للبخارى عن أبى هريرة(٧) ·

٩ ـ اذا كان عليه دين الدين أحق أن يقضى لأن الفرائض أحق أن يبدأ بها من النوافل هذا وينبغى أن نشير هنا الى دواعى المن منها :

١ ـ **البخل :** لأنه يعظم العطية وان كانت حقيرة فى نفسها ·

٢ ـ **العجب :** فهو يحمل الانسان على النظر لنفسه بعين العظمة وانه منعم بماله على المعطى ·

٣ ـ **الكبر :** لانه يحمل الانسان على أن يحقر المعطى له وان كان فى نفسه فاضلا ·

٤ ـ **ورأس ذلك كله :** الجهل ونسيان منة الله تعالى فيما أنعم عليه لو نظر فى ذلك وتدبر لعلم أن المنة للآخذ وذلك لما يزيله عن المعطى من اثم المنع وذم المانع ، ولما يحصل له من الأجر الجزيل والثناء الجميل(٨) ·

والله أعلم ··

---

(٧) عمدة القارى جـ ٢١ ص ١٤ ·

(٨) عمدة القارى جـ ٨ ص ٢٩٧ ·

الحـديث العشرون

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ٠

الحديث أخرجه البخارى وهو من أفراده عن مسلم أخرجه البخارى فى الايمان وفى كتاب الرقاق بمعناه(١) ، وأخرجه النسائى فى الايمان وأبو داود فى الصلاة والترمذى فى القدر ٠

المفردات :

اليسر : نقيض العسر ومعناه التخفيف ٠

لن يشاد الدين : من المشادة وهى المبالغة يقـــال شاده مشادة اذا غالبه وقاواه وأصله يشادد ومثل هذه الصيغة مشترك بين بناء الفاعل وبناء المفعول ، والفارق هو القرينة ، ويحتمل الوجهين هنا(٢) ٠

غلبه : يقال غلبه غلبا بسكون اللام وتحريكها وغلبة وغلابية كعلانية أما الغلب بضم الغين فهو جمع غلباء يقال : حديقة غلباء وحدائق غلب أى غلاظ ممتلئة ٠

فسددوا : من التسديد وهو التوفيق للصواب أى السداد والقصـــد من القول والعمل ، ويقال ان معنى سددوا الزموا السداد أى الصواب من غير تفريط ولا افراد ٠

وقاربوا : لا تبلغوا النهاية بل تقربوا منها ، أى وسط بين الطرفين

---

(١) راجع عمدة القارى جـ ٢٣ ص ٦٣ ٠
(٢) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٣٧ ٠

وقيل قاربوا فى العبادة لا تباعدوا فان باعدتم فى ذلك لم تبلغوه وقارب فلان فلانا اذا ناغاه بكلام حسن ٠

وأبشروا : بقطع الهمزة من الابشار وجاء ابشروا بضم الشين من البشرة بمعنى الابشار أى ابشروا بالثواب على العمل وان قل ٠

بالغدوة : وهو سير أول النهار الى الوزال وقيل ما بين صلاة الغداة الى طلوع الشمس ٠

والروحة : من زوال الشمس الى الليل وقيل انه العشى ٠

الدلجة : هى سير آخر الليل ، وبفتح الدال سير الليل وأدلج سير الليل كله وبالتشديد سير آخر الليل ، وقيل غير ذلك راجع العمدة(٣) ٠

الاعراب :

ان الدين يسر ان واسمها وخبرها وكانا مبتدأ وخبرا فى الأصل ٠

لن يشاد الدين يشاد منصوب بلن ، جاء فى بعض الروايات الدين مرفوعا من غير ذكر كلمة **أحد** فهو نائب فاعل على هذه الرواية وفى رواية اسقاط أحد هذه جاءت كلمة **الدين** منصوبة بيشاد من غير ذكر الفاعل يقول العينى الفعل **يشاد** فعل ليس له فاعل على رواية اسقاط **أحد** وحذف الفاعل للعلم به لكن الجمهور على أنه مبنى لما لم يسم فاعله(٤) ٠ أما على رواية ذكر **أحد** فالأمر ظاهر فيشاد مضارع منصوب ٠ الدين مفعول ٠ **أحد** فاعل ، وسبق الحديث على الفعل **يشاد** ٠

فسددوا الفاء جواب شرط محذوف أى اذا كان الأمر كذلك فسددوا ، والجمل التى بعدها معطوفة عليها ، والبـــاء فى **بالغدوة** للاستعانة المعنى واستعينوا على الأعمال بهذه الأوقات المنشطة للعمل ٠

البلاغة :

التأكيد فى **ان الدين يسر** للرد على منكر يسر هذا الدين وذلك على تقدير كون المخاطب منكرا أو على تنزيل المخاطب منزلة المنكر أو على تقدير منكرين غير المخاطبين ويجوز أن يكون التأكيد لكون هذه القضية مما يهتم بها ٠

---

(٣) جـ ١ ص ٢٣٧ وشروح البخارى ص ٢٠٧ ٠

(٤) راجع عمدة القارى جـ ١ ص ٢٣٨ ٠

هناك ايجاز عن طريق حذف الفاعل فى **ولن يشاد الدين** على رواية حذف **أحد** وحذف فى كل مما يأتى **فسددوا** أى فى الأمور **وقاربوا** أى فى العبادة وفى **وابشروا** أى بالثواب على العمل ٠

وهناك ابهام فى المبشر به للتنبيه على التعظيم والتفخيم ، ومبالغة فى جعل اليسر محمولا فالمبالغة وقعت بين الموضوع والمحمول أى جعل اليسر خبرا للدين كأن الدين هو واليسر شىء واحد ، مع أن المعنى الدين الاسلامى ذو يسر لأن الألف واللام للعهد ، والموصوف باليسر هنا هو الأعمال لانهـــا هى الموصوفة بالشدة واليسر(٥) ، وهناك استعارة فى الغدوة والروحة وشىء من الدلجة لأنها كلها مستعملة لتدل على أوقات النشاط والفراغ من الدنيا للطاعة ، وهناك تشبيه للمخاطب بالمسافر الذى يقطع الطريق للوصول على المقصد فنبهه صلى الله عليه وسلم على أوقات النشاط لأن هذه الأوقات هى أفضل الأوقات للمسافر فتحريها يمكن للمداومة ومجانبتها الى الانقطـــاع والعجز ٠

المعنى :

ان الدين الاسلامى دين يسر لا يتعمق أحدكم فيه فيترك اليسر لأن الذى يفعل ذلك فان الدين يغلبه فيعجز عن العمل وينقطع عن عمله كله أو بعضه اذن المطلوب هو الاقتصاد فى العبادة وعدم استيعاب الأيام والليالى كلها بل يأخذ الانسان بطرف من الليل وطرف من النهار حتى لا ينقطع عن المقصود ٠

ومن يسر الدين الاسلامى : جواز تأخير الصوم عن شهر رمضـــان للمسافر والمريض وترك الصوم بالكلية للشيخ الفانى مع الفدية ، وكون الصيام نفسه شهرا واحدا فى السنة كلها الى غير ذلك ٠

هذا وكونه يسرا يجوز أن يكون بالنسبة لذاته أو بالنسبة الى سائر الأديان وهو الظاهر لأن الله رفع عن هذه الأمة العسر الذى كان على سابقيهم مثل عدم جواز الصلاة الا فى مكان معين وعدم الطهارة بالتراب ، وعدم طهارة الثوب الا بقطع مكان النجاسة ، وعدم قبول التوبة الا بقتل بعضهم الآخر(٦) وقال تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج)(٧) ٠

والله أعلم ٠٠

---

(٥) راجع شروح البخارى ص ٢٠٦ وما بعدها ٠

(٦) عمدة القارى جـ ١ ص ٢٣٥ ٠

(٧) سورة الحج الآية ٧٨ ٠

الحـديث الحادى والعشرون

عن أبى هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة واقرؤا ان شئتم : (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) ... الآية . وفى رواية من غير **جمعاء** وفى رواية : **ما من مولود الا يولد على الفطرة، ثم يقول اقرؤا :** (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)(١) . وفى رواية **قالوا يا رسول الله أفرايت من يموت صغيرا ؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين .**

هذه رواية مسلم(٢) .

ورواية البخارى **عن أبى هريرة قال : النبى صلى الله عليه وسلم : ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أويمجسانه ،كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول أبو هريرة** رضى الله عنه : (فطرة الله التى فطر الناس عليها ...) الآية(٣) .

اللغة :

الفطرة : لغة الخلقة والمراد بها هنا هو الوارد فى الآية الشريفة ، أى الدين . حيث أشير الى الدين عند قوله تعالى : **ذلك الدين القيم** وسيأتى الكلام عنها وأقول العلماء الواردة فى معناها ان شاء الله .

جمعاء : هى البهيمة التى لم يذهب من بدنهـــا شىء ، سميت بذلك لاجتماع سلامة أعضائها حيث لا جدع فيها ولا كى .

جدعاء : هى البهيمة التى قطعت أذنها من جدع اذا قطع الاذن والأنف .

---

(١) سورة الروم آية ٣٠ .

(٢) راجع النووى جـ ١٦ ص ٢٠٧ كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

(٣) راجع عمدة القارى جـ ٨ ص ١٧٦ كتاب الجنائز باب اذا أسلم صبى ثم مات .

الاعراب :

ما من مولود : كلمة من زائدة **مولود** مبتدأ و **يولد** خبر المبتدأ · ومعنى **من** هنا هو الاستغراق فهى تفيد العموم(٤) · المعنى : ما من مولود يوجد على أمر الا على الفطرة ·

الفاء فى **فأبواه :** يجوز أن تكون للتعقيب وهو ظاهر · ويجوز أن تكون للتسبب بمعنى ، اذا تقرر ذلك فمن تغير كان بسبب أبويه ·

كما تنتج : الجار والمجرور يجوز أن يكون حالا من الضمير فى **يهودانه** أى يهودانه شبيها بالبهيمة التى جدعت بعد أن خلقت سليمة · ويجوز أن يكون صفة مصدور محذوف أى يغيرانه تغييرا مثل تغييرهم البهيمة السليمة ·

هذا ويلاحظ أن هذا الجار والمجرور متنازع فيه فقد تنازعته الأفعال الثلاثة : يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، فكل واحد منها يطلبه وذلك على كلا الاحتمالين ·

تنتج على صيغة المبنى للمفعول ، ووهو من الأفعال اللازمة لهذه الصيغة ، **البهيمة** فاعل ليس بنائب فاعل ، **وبهمية** مفعول به · **وجمعاء** صفة ·

ويؤخذ من **المغرب** ما يفيد على أن أصل الفعل **نتج** يتعدى الى مفعولين وعلى هذا يمكن اعتبار البهيمة نائب فاعل و بهيمة مفعول ثان(٥) ·

هل تحسون فيها من جدعاء : الجملة فى موضع الحال ، على التقديرين ، والمعنى : بهيمة سليمة مقولا فيها فى حقها هذا القول ·

البلاغة :

١ ـ يوجد فى الحديث قصر ، عند قوله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود الا يولد على الفطرة ، اذ المعنى ما من مولود يوجد على أمر من الأمور الا على هذا الأمر وهو الفطرة ·

٢ ـ تشبيه عند قوله صلى الله عليه وسلم : **كما تنتج البهيمة بهيمة**

---

(٤) راجع المصدر السابق جـ ٨ ص ١٧٧ ·

(٥) راجع عمدة القارى جـ ٨ ص ١٧٧ ·

وهو تشبيه تمثيلى حيث مجىء الطفل سليما على الفطرة ثم حول بعد ذلك الى الكفر مثل البهيمة التى ولدت سليمة ثم جدعت وشوهت بعد خروجها الى الدنيا · ولا يخفى موقع مثل هذا التشبيه الذى جاء مبينا المعنى بالأشياء التى يعيشها العربى منذ زمن بعيد ولها فى نفسه انطباع بالغ ·

٣ - وتأكيد فى **هل تحسون فيها من جدعاء** لأن هذه الجملة فيها نوع من التأكيد المعنوى حيث تضمنت نفى النقص الذى ورد فى السابق ، فهى تكرير وتأكيد للمعنى السابق ·

٤ - وفيه استحضار للحكاية فى **ثم يقول أبو هريرة** ففيه استحضار لحكاية الحال الماضية فى ذهن السامع لأن الفعل المضارع فى **يقول** يصور للسامع كأنه يسمع النبى صلى الله عليه وسلم يتحدث الآن ·

٥ - هناك تشبيه آخر فى **كما تنتج البهيمة بهيمة** حيث شبه هؤلاء الأطفال من جهة السلامة وعدم وجود عيب فى الأصل بالبهيمة التى نتجت خالصة من غير شين ·

المعنى :

اجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أنمن مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفا ، وقد توقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة رضى الله عنها وهو انه (توفى صبى من الأنصار فقالت : طوبى له ، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوء ولم يدركه ، قال صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك يا عائشة ، ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم) الا أن العلماء أجابوا بأنه لعله نهاها عن المسارعة الى القطع من غير آن يكون عندها دليل قاطع · ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل آن يعلم آن أطفال المسلمين فى الجنة · فلما علم صلى الله عليه وسلم ذلك قال : ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم(٦) · والله أعلم ·

---

(٦) راجع النووى على مسلم جـ ١٦ ص ٢٠٨ ·

أما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب :

١ ـ قال الأكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم ٠

٢ ـ توقفت طائفة من العلماء فى أمرهم ٠

٣ ـ ذهب المحققون الى أنهم من أهل الجنة ، واستدلوا فى ذلك بأشياء منها : حديث ابراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة وحوله أولاد الناس ، قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين ومنها قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ٠

أما غلام خضر(٧) فيرى النووى انه يجب تأويله قطعا ، لأن أبويه كانا مؤمنين فيكون هو مسلما فيتأول على أن معناه ـ أن الله تعالى أعلم ـ أنه لو بلغ لكان كافرا لا أنه كافر فى الحال ولا يجرى عليه فى الحال أحكام الكفار ٠

ما يؤخذ من الحديث :

١ ـ أنه كل مولود ولد واستهل ثم مات هذا المولود يسمى ويغسل ويصلى عليه والاستهلال أن يكون منه ما يدل على حياته ٠ ولم يخالف فى ذلك الا قتادة فقد خرج على جماهير الفقهاء وانفرد بالقول بأنه لا يصلى عليه(٨) ٠

أما اذا لم يستهل فلا يغسل ولا يسمى ولا يرث ولا يورث ٠ وهناك من قال السقط الذى استبان خلقه يغسل ويكفن ويحنط ولا يصلى عليه ٠

وعن مالك لا يصلى عليه الا أن يختلج ويتحرك(٩) ٠

هذا بالنسبة لأولاد المسلمين ٠ أما أولاد المشركين فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا **سئل عن أولاد المشركين فقال : الله أعلم ما كانوا عاملين(١٠)** ٠

٢ ـ ان للآبوين تأثير فى المولود حيث يحولانه عن أصل الجبلة والتهيىء

---

(٧) شرح النووى على مسلم جـ ١٦ ص ٢٠٨ ٠

(٨) عمدة القارى جـ ٨ ص ١٧٦ ٠

(٩) من أراد الزيادة فليراجع المرجع السابق نفس الجزء والصفحة وما بعدها ٠

(١٠) نفس المرجع السابق جـ ٨ ص ١٧٦ ٠

لقبول الدين لأنه لو ترك لاستمر على لزوم سبيله لم يفارقه لأن سماحة الدين وحسنه موجود ومدرك فى النفوس ، وانما يعدل عنه لآفة بشرية خارجية تقليدية ٠

الفطرة :

والآن نعود الى معنى كلمة الفطرة لبيان آراء العلماء فيها حيث اختلف فى معناها ٠

١ ــ ذكر أبو عبيدة عن محمد بن الحسن أنه قبل أن يؤمر الناس بالجهاد **أى الفترة التى وقعت بين الأمر بالجهاد وما قبلها** ولكن هذا الرأى ضعف ٠

٢ ــ قال قوم الفطرة هنا الخلقة التى خلق عليها المولود من المعرفة بربه، لأن الفطرة هى الخلقة مأخوذة من الفاطر أى الخالق ، وانكروا : المولود يفطر على كفر أو ايمان أو معرفة وانكار ٠ وانما يولد المولود على السلامة فى الأغلب خلقة وطبعا وبنية ليس فيها ايمان ولا كفر ولا انكار ولا معرفة ، ثم يعتقدون ايمانا أو غيره اذا ميزوا ، واحتج من قال بذلك بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث : **كما تنتج البهيمة بهيمة** ٠٠٠ الحديث ٠ فهم كالبهائم السليمة ، فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر أكثرهم الا من عصم الله تعالى ولو فطروا على الايمان أو الكفر فى أول أمرهم لما انتقلوا عنه أبدا ٠ لكننا نجدهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون ، كما أن الطفل حين يولد لا يعقل شيئا لأن الله أخرجهم فى حالة لا يفقهون منها شيئا ٠ وقال : أبو عمر(١١) هذا القول أصح ما قيل فى معنى الفطرة ٠

٣ ــ قال قوم : انما قال : كل مولود يولد على الفطرة ، قبل أن تنزل الفرائض ، لأنه لو كان يولد على الفطرة ثم مات آبواه قبل أن يهودانه أو ينصرانه لما كان يرثهما ويرثانه ، فلما نزلت الفرائض علم أنه يولد على دينهما ٠

٤ ــ قال قوم : الفطرة هنا الاسلام ، لأن السلف أجمعوا فى قوله تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) أنها دين الاسلام ، واحتجوا بحديث عياض بن حماد ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال الله تبارك وتعالى :**

---

(١١) المرجع السابق جـ ٨ ص ١٧٩ ٠

انى خلقت عبادى حنفاء على استقامة وسلامة • والحنيف فى كـــلام العرب المستقيم السالم • وقال أبو عمر يستحيل أن تكون الفطرة المذكورة فيه : الاسلام ، لأن الاسلام والايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح• وهذا معدوم فى الطفل •

٥ ــ قال قوم معنى الفطرة : البداءة التى ابتدأهم عليها أى على ما فطر الله تعالى عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاوة والى ما يصيرون اليه عند البلوغ •••

٦ ــ قال بعضهم معنى ذلك أن الله تعالى قد فطرهم على الانكار والمعرفة وعلى الكفر والايمان فأخذ من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام الميثاق حين خلقهم فقال : ألست بربكم ؟ فقالوا جميعا بلى • فأما أهل السعادة فقالوا بلى على معرفة له طوعا من قلوبهم • وأما أهل الشقاوة فقالوا بلى • كـــرها لا طوعا • وتصديق ذلك قوله تعالى (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها) وقيل غير ذلك(١٢) •

٧ ــ يرى النووى أن الأصح هو أن معنى الفطرة هو كل مولود يولد متهيئا للاسلام فمن كان أبواه أو أحدهما مسلما استمر على الاسلام فى احكام الآخرة والدنيا ، وان كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما فى أحكام الدنيا ، وهذا هو معنى يهودانه وينصرانه ويمجسانه أى يحكم له بحكمهما فى الدنيا ، فان بلغ استمر فى الكفر أو أسلم فان مات قبل البلوغ ففيه المذاهب السابقة•

والله أعلم •

---

(١٢) من أراد الزيادة يرجع الى النووى ج ١٦ ص ٢٠٨ وعمدة القارى ج ٨ ص ١٧٩ وما بعدها •

الحـديث الثانى والعشرون

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ٠

وفى رواية **لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده ٠**

أخرجه مسلم فى البر وفى الذكر والترمذى فى الحدود والبر ٠ والبخارى فى المظالم ذكره كما يلى(١) :

عن ابن شهاب أن سالما أخبره أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ٠
وأورد شيئا منه فى كتاب العلم فى باب العلم قبل القول والعمل ٠

المفردات :

نفس عن مؤمن كربة : أى فرجها وأزالها ، وطرق ذلك كثيرة حسب الأحوال **وكربة** بضم الكاف = الغم الذى يأخذ النفس ومنه الكرب على وزن الضرب ويجمع على كربات وكرب ٠ **يلتمس العلم** يطلب العلـــم استعير له اللمس ٠

---

(١) عمدة القارى جـ ١٢ ص ٢٨٨ ٠

السكينة هى الوقار والتأنى وقيل الرحمة الا أن المنـــاسب فى هذا الحديث هو الطمأنينة والوقار لعطف الرحمة على السكينة فى الحديث نفسه ٠

حفتهم : طافت بهم ودارت حولهم ٠

بطأبه عمله : أى من أخر عمله السيء وتفريطه فى العمل الصالح لم ينفعه فى الآخرة شرف النسب ويقال بطأبه وابطأ به بمعنى ٠

المسلم أخو المسلم يعنى أخوه فى الاسلام وكل شيء يوجد بينهما اتفاق يطلق عليهما اسم الأخوة ٠

لا يظلمه نفى بمعنى الأمر وهو من باب التأكيد ٠

من ستر مسلما : أى رآه على قبيح فلم يظهره للناس وليس معنى هذا ترك الانكار عليه خفية وهذا فى غير المجاهر ولا غيبة له ٠ فهو يذكر بما فيه ليحذره الناس(٢) ٠

الاعراب :

من نفس : من موصلة والفعل والجار والمجرور والمفعول به صلة الموصول وجملة **نفس الله عنه** ٠٠ خبر من الموصولة الواقعة مبتدأ وهكذا الاعراب فى جملة **من يسر** وجملة **من ستر** ٠

والله فى عون العبد الواو حالية ولفظ الجلالة مبتدأ وخبر **ما كان العبد فى عون أخيه** ، لأن **ما** مصدرية أى مدة كون العبد ٠٠٠ الخ ٠

من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله الاعراب فيها مثل الجملة الأولى الا أن جملة **يلتمس فيه علما** جملة حالية ٠

و ما اجتمع قوم ٠٠ الاعراب ظاهر الا أن **يتلون كتاب الله ويتدارسونه** جملتان حاليتان ، **وغشيتهم الرحمة** معطوفة على السابقة لها وكذلك وحفتهم الملائكة والباقى واضح ٠

---

(٢) نفس المصدر ج ١٢ ص ٢٨٩ ٠

البلاغة :

١ - هناك استعارة فى (من نفس) استعارة من نفس الهواء الذى يرد التنفس الى الجوف فيرد من حرارته أو من نفس الريح الذى يتنسمه فيستريح اليه من نفس أو من نفس الروضة وهو طيب رائحتها(٣) .

٢ - واستعارة فى يلتمس العلم حيث عبر عن الطلب بالتلمس كأن العلم شىء محسوس مشخص يبحث عنه باللمس باليد .

٣ - واستعارة مكنية فى تنزلت عليهم السكينة حيث شبهت بالطائر الذى يطير وينزل ، وكذلك فى غشيتهم الرحمة حيث شبهت بالشىء المحسوس الذى يغشاهم ويغطيهم .

٤ - وأخيرا هناك مجاز فى اسناد الابطاء الى العمل مع انه ليس بالفاعل الحيقى فى الابطاء ففيه مجاز فى الاسناد .

المعنى :

هذا الحديث : حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب من بين ما نفهمه منه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم والسعى لأجل مساعدتهم بما تيسر للانسان من علم أو مال أو أى لون من ألوان الاعانة مثل الاشارة الى مصلحة لهم أو نصيحة وغير ذلك .

كما يتناول بيان فضل ستر عورات المسلمين ، أو أنظار وامهال المعسر وبيان فضل السعى فى طلب العلم أو ما يشبه ذلك ويقول العلماء يلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعى ، بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى وان كان هذا شرطا فى كل عبادة ، لكن عادة العلماء أنهم يقيدون هذه المسألة به ، لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم .

هذا ويدرك من هذا الحديث أيضا : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن فى المسجد على ما ذهب اليه الجمهور(٤) ، ويلحق بالمسجد فى تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع فى مدرسة ورباط ونحوهما ، ويدل على ذلك الحديث حسب ما ورد فى الرواية الثانية فانه مطلق يتناول جميع المواضع . على هذا

---

(٣) راجع النووى جـ ١٧ ص ٢٢ .

ندرك بأن التقييد ، ورد في الحديث الأول على الغـــالب لا سيما فى ذلك الزمان ٠

كما بين الحديث أن الجزاء والثواب لا يكون ، الا من عمل العبد الذى قام به هو بنفسه أما اذا كان عمله ناقصا قاصرا لم يلحقه بمرتبة أصحاب الأعمال فان شرف النسب وفضيلة الآباء لا يرفعه اليهم لذا ينبغى أن لا يتكل على ذلك من أول الأمر ٠

كما يؤخذ منه ومن الحديث الثانى : الحض على التعاون وحسن المعاشرة والألفة والستر على المؤمن وترك التسمع به والاشهار لذنوبه ، بالقيد المذكور سابقا ويفهم منهما أيضا : أن المجازاة فى الآخرة قد تكون من جنس الطاعة فى الدنيا ٠ وأن الستر انما هو فى معصية وقعت وانقضت ، أما فيما تلبس الشخص بها فمبادرة الانكسار واجبة ٠ ومنعه بشروط تغيير المنكر ٠

هذا وما يتعلق بجرح الرواة والشهود فلا يحل الستر عليهم كما انه ليس من الغيبة المحرمة ، بل هو من النصيحة الواجبة(٥) ٠

والله أعلم ٠٠

---

(٤) النووى جـ ١٧ ص ٢٣ ٠

(٥) عمدة القارى جـ ١٢ ص ٢٨٩ ٠

الحـديث الثالث والعشرون

عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ولا ينزع من شىء الا شانه .

وعنها أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال : **يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه .**

قال جرير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **من يحرم الرفق يحرم الخير .**

أخرجه مسلم فى البر وأبو داود فى الجهاد ، وأحمد بن حنبل فى الجزء السادس .

المفردات :

الرفق : هو اللطف ولين الجانب وهو خلاف العنف وهو من رفق يرفق بكسر الفاء وضمه ، الرفق اذا جاء مثل **الله رفيق** معناه : الرأفة والرحمة يكون فعيل بمعنى فاعل ، أما فى الحديث . **الحقنى بالرفيق الأعلى :** فالرفيق فيه جماعة من الأنبياء يسكنون أعلى عليين فهو اسم جاء على فعيل يقع على الواحد والجمع(١) .

العنف : هو الشدة والمشقة وهو ضد الرفق وهو بضم العين وفتحها وكسرها وغير الضم افصح وأشهر .

زانه : حسنه وهو من التزيين وهـو التحسين ومنه زينوا القـرآن بأصواتكم .

شانه : عابه وقبحه ومنه حديث : ما شانه الله ببيضاء . وهو من شانه يشينه .

---

(١) النووى جـ ١٦ ص ١٤٥ . والنهاية مادة (رفق) .

أما الاعراب فظاهر لا يحتاج الى بيان ٠

البلاغة :

١ - فى الحديث تأكيد وارد لأهمية الخبر أو لتنزيل المخـــاطب منزلة المتردد ٠

٢ - وفيه أيضا طباق بين كلمة زانه وشانه ٠

٣ - وفيه سجع فى أواخر الفقرتين المنتهيتين بنفس الكلمتين المذكورتين فى الطباق ٠

٤ - وفيه قصر فى الفقرتين بطريق النفى والاستثناء (لا ، الا) ٠

٥ - كما أن بين الجملتين وصل بالواو **ولا ينزع من شيء** ٠

٦ - ويوجد طباق فى الرواية الثانية بين الرفق والعنف ، كما أن فيه التوكيد مثل السابق ، وفيها تنبيه بالنداء ٠

٧ - وفى الرواية الأخيرة ايجاز بليغ حيث نجد الحديث يختصر ويقع فى المبتدأ والخبر فقط ٠

المعنى :

نتبين فى الحديث بهذه الروايات فضل الرفق والأخذ به ويتجلى لنا حث الحديث على التخلق بالرفق ، وذم العنف لعدم جدواه ٠

لأن الرفق سبب لكل خير فالثواب والجزاء الذى يجده العبد به لا يجده بغيره من الشدة والمشقة والعنف ، فبالرفق يصل الى أغراضه ، ويسهل له كسب مطالبه وتحقيق ما لا يمكن تحقيقه بغيره ٠

كما ندرك أيضا جواز تسميته تعالى بالرفق ووصفه به ، لأن تسميته ووصفه لا يكون الا بالنقل ، فلا يتأتى بالرأى أو القياس(٢) ٠٠ والله أعلم ٠٠

---

(٢) النووى جـ ١٦ ص ١٤٥ ٠

الحـديث الرابع والعشرون

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ٠

وفى الرواية له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم **يقول : ليس الشديدة بالصرعة قالوا فالشديد أيم هو يارسول الله ؟ قال : الذى يملك نفسه عند الغضب ٠**

وفى حديث لعبد الله بن مسعود قال **قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعدون الرقوب فيكم ، قلنا الذى لا يولد له قال ليس ذاك بالرقوب ولكنه الرجل الذى لم يقدم من ولده شيئا ، قال فما تعدون الصرعة فيكم قال قلنا الذى لا يصرعه الرجال قال : ليس بذلك ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب ٠**

أخرجه الامام مسلم فى البر حديث ١٠٧ ، ١٠٨ والبخارى فى الأدب حديث ٧٦ والنسائى وصاحب الموطأ فى حسن الخلق ٠

المفردات :

الصرعة : بضم الصاد وفتح الراء المبالغ فى الصراع لا يغلب وهى بناء المبالغة كالحفظة أى كثير الحفظ فنقله صلى الله عليه وسلم الى الذى يملك نفسه عند الغضب ويقهرها لأنه يكون عند ذلك قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه(١)، وهى من التى نقلها لضرب من التوسع والمجاز ٠

الرقوب : الرجل أو المرأة اذا لم يعش لهما ولد لأنه يرقب موته ويرصده خوفا عليه فنقله صلى الله عليه وسلم الى الذى لم يقدم من الولد شيئا تعريفا بأن الأجر والثواب لمن قدم شيئا من الولد وان الاعتداد به أكثر والنفع فيه أعظم ، ولم يقله ابطالا لتفسيره اللغوى(٢) ٠

---

(١) عمدة القارى جـ ٢٢ ص ١٦٣ ٠

(٢) النووى جـ ١٦ ص ١٦٢ ٠

البلاغة :

١ - فى الحديث ايجاز بليغ حيث تضمن معـــان كثيرة من خلال ألفاظ يسيرة ٠

٢ - وفيه أيضا قصر عن طريق **انما** عند قوله انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ٠

٣ - وفيه مجاز عن طريق تشبيه من يغلب نفسه عند الغضب بمن يغلب أقوى الرجال وأشد الأعداء قوة ٠

٤ - مجاز آخر بنقل كلمة الرقوب عن معناها اللغوى الى المعنى الشرعى ومثلها كلمة الصرعة ٠

المعنى :

معناه انكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده قبل وفاته مع أن الأمر ليس كذلك شرعا بل هو من لم يمت له أحد من أولاده فى حياته فيحتسبه ويصبر ويكتب له ثواب مصيبته وصبره ويكون له فرطا وسلفا ٠

وكذلك أنتم تعتقدون ان الصرعة الممدوح الفاضل هو الرجل القوى الذى لا يصرعه الرجال بل يصرعهم قل من يقدر عليه ولكن ليس الأمر كذلك شرعا بل هو من يملك نفسه عند الغضب فهذا هو الرجل الممدوح الذى ينبغى أن يتخلق بخلقه ويشارك فى فضيلته بخلاف الأول ٠

هذا ويؤخذ من الحديث :

١ - فضل موت الأولاد والصبر عليهم ويؤيد مـــذهب من يفضـــل التزوج ٠

٢ - فيه بيان فضل كظم الغيظ وامساك النفس عند الغضب وترك الانتصار والمخاصمة والمنازعة ٠

٣ - وفيه أن الغضب فى غير الله تعالى من نزغ الشيطان وأنه ينبغى لصاحب الغضب أن يستعيذ فيقول أعوذ بالله من الشيطانالرجيم وهذا يذهب الغضب اذا قاله الانسان(٣) ولكونه من نزغ الشيطان تجد الانسان يخرج عن الاعتدال ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوى الشر والحقد والبغض وغير ذلك والعياذ بالله ٠

٤ - يدرك منه عظم مفسدة الغضب وما ينشأ منه لذلك كرر الرسول صلى الله عليه وسلم لمن قال له أوصنى (لا تغضب) أكثر من مرة ٠٠٠

والله أعلم ٠٠

---

(٣) النووى جـ ١٦ ص ١٦٣ ٠

الحـديث الخامس والعشرون

عن أنس بن مالك قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات ٠

وفى رواية لأبى هريرة رضى الله عنه **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره(١) ٠**

ـ الأول أخرجه مسلم والثانى أخرجه البخارى ـ كما أخرجه النسائى فى الايمان والترمذى فى الجنة وأبو داود فى السنة وأحمد بن حنبل فى الجزء الثانى ٠

المفردات :

حفت : أحيطت وحجبت وهى من الحفاف وهو ما يحيط بالشىء حتى لا يتوصل اليه الا بتخطيه ٠

حجبت : غطيت ٠

الاعراب :

الفعل حفت وحجبت مبنى للمجهول فى الموضعين والجنة والنار فيهما نائب فاعل بالشهوات وبالمكاره جار ومجرور متعلق بالفعل المذكور قبله فى كلا الروايتين ٠

البلاغة :

الحديث بروايتيه فيه ايجاز بليغ وفصاحة تامة متناهية لذا عد من جوامع الكلم وبديع البلاغة التى أوتيها صلى الله عليه وسلم ٠

---

(١) راجع النص فى اللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ص ٢٨٦ وعمدة القارى فى جـ ٢٣ ص ٧٧ وفى النووى جـ ١٧ ص ١٦٥ ٠

وفى الحديث تمثيل جميل حيث جاءت الصورة ممثلة النار بالشىء الكريه المخوف الا أنه أحيط بما تميل اليه الأنفس وتنجذب اليه فالذى أطـــاع الشهوات وقع فيها والجنة بعكس ذلك وهكذا نجد الصور تجسم المعانى كأننا نراها بالعين المجردة هذه هى البلاغة الفائقة التى يدركها كل انسان ولكن لا يستطيع الاتيان بمثلها هذا ويمكن تحويل التمثيل الى الاستعارة بالكناية والمشبه هو الجنة والنار وأثبتت لهما لوازم الاناء الذى غطى أو البستان الذى أحيط بالسور ٠

المعنى :

معناه : انه لا يوصل الى الجنة الا بعد تخطى المكاره وارتكابها لأنها محجوبة ومحاطة بها فلابد من هتك الحجاب ومن هتك الحجاب وصـــل الى المحجوب ويدخل فى عداد المكاره الاجتهاد فى العبادات والمواظبة عليها والصبر على مشاقها وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والاحسان الى المسىء ومقاومة النفس فى ميلها الى الشهوات وقهرها وغير ذلك من الأمور الصعبة الا على الخاشعين الذين يسرها الله لهم **جعلنا الله منهم** ٠

أما النار فهى على عكس ما ذكرنا فهى محاطة بما تحبه النفس وتميل اليه من الشهوات فبارتكاب الشهوات يوصل اليها وطريقها طريق الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والنظر الى الأجنبية والغيبة والنميمة والملاهى وما أشبه ذلك ، أما الشهوات المباحة فلا تدخل فى هذه ــ الا أن بعض العلماء(٢) يكره الاكثار منها مخافة أن تجر الانسان الى المحرمة أو الى قسوة القلب أو أن تشغله عن الطاعات أو تصرفه الى الاعتناء بتحصيل الدنيا وينسى ما أعده الله لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ٠ جعلنا الله من أهلها ٠٠٠ آمين ٠

---

(٢) النووى جـ ١٧ ص ١٦٥ ٠

الحـديث السادس والعشرون

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله فجعل الناس يطيفون به يقولون ما رأينا بنيانا أحسن من هذا الا هذه اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة ٠

وفى رواية له أيضا : **مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجـــل ابتنى بيوتا فأحسنها وأجملها وأكملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان فيقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم فكنت أنا اللبنة ٠**

وفى رواية له أخرى : **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا وأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين(١) ٠**

وفى رواية عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم **قال : مثلى ومثـــل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء ٠**

أخرجه مسلم فى الفضائل والبخارى فى المناقب حديث ١٨ والترمذى فى الأدب ٠

المفردات :

اللبنة : قطعة طين تعجن وتيبس ويبنى بها من غير احراق ٠

---

(١) راجع هذه الروايات فى النووى على مسلم ج ١٥ ص ٥١ ـ وعمدة القارى ج ١٦ ص ٩٨ ٠

زاوية : من البيت الركن وجمعه زوايا ٠

المثل : ما يضرب به الأمثال وفى الجوهرة : المثل النظير ٠

الاعراب :

مثلى : مبتدأ و (مثل الأنبياء) معطوف عليه ٠ كمثل رجل ابنتى دارا خبر المبتدأ وبنيانا أو دارا مفعول به ٠ فأجمله وأحسنه **فجعل** الفاء سببية فى فجعل الناس ، الناس اسم جعل ويطيفون أو يطوفون خبر **يقولون** من غير واو حال **فكنت أنا تلك اللبنة** الضمير أنا مؤكد للضمير المتصل تلك خبر كان اللبنة بدل أو عطف بيان ٠

لولا موضع اللبنة موضع مبتدأ وخبره محذوف والتقدير لولا موضع اللبنة لكان بناء الدار كاملا مثل قولك لولا زيد لكان كذا أى لولا زيد موجود لكان كذا ويجوز أن تكون لولا تخصيصة لا امتناعية وفعله محذوف أى لولا ترك موضع اللبنة(٢) ٠

البلاغة :

فى الحديث تشبيه تمثيلى حيث شبه الأنبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وارشاد الناس الى مكارم الأخلاق بقصر أسس قواعده ورفع بنيانه وبقى منه موضع لبنة ، فنبينا صلى الله عليه وسلم بعث لتتميم مكارم الأخلاق فكأنه هو تلك اللبنة التى بها اصلاح واتمام ما بقى من الدار ٠

فالتشبيه هنا تمثيلى كما ترى أخذ وصفه من جميع أحوال المشبه وشبه بمثله من أحوال المشبه به ٠

وهناك أيضا تشبيه آخر بليغ فى قوله صلى الله عليه وسلم (فأنا اللبنة) أو **فكنت أنا اللبنة** أو **فكنت أنا تلك اللبنة** فالتشبيه هنا محذوف الأداة والوجه ٠ لا شك ان لهذا التمثيل وقع خاص وبيان بليغ فى ترجمة معنى كونه خاتم الأنبياء والرسل ٠

---

(٢) راجع عمل لولا فى مغنى اللبيب لابن هشام ٠

فان المعنى المراد هو أن اللبنة مكملة محسنة والا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها ناقصا ، وليس كذلك فان شريعة كل نبى بالنسبة اليه كاملة ، فالمراد منه هنا النظر الى الأكمل بالنسبة الى الشريعة المحمدية مع ما خص به من الشرائع ٠

وفيه من جانب آخر قصر وذلك عن طريق تعريف الطرفين فى **أنا اللبنة** وفى الحديث ضرب الأمثال للتقريب للافهام وبيان فضل النبى صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبيـــاء وان الله ختم به المرسلين وأكمـــل به الشرائع - والله أعلم ٠

الحـديث السابع والعشرون

عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه ، واما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد ريحا خبيثة · هذه رواية مسلم(١) ·

وفى البخارى(٢) عن أبى موسى نفسه ·

مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة ·

وأبو موسى هذا هو عبد الله بن قيس المشهور بأبى موسى الأشعرى ·

المفردات :

مثل الجليس : على وزن فعيل هو الذى يجالس الرجل يقال جالسته فهو جليسى ، وهناك رواية بمثل جليس الصالح باضـــافة الموصوف الى صفته(٣) ·

كير الحداد : الكير حقيقته البناء الذى يركب عليه الزق وهو جلد غليظ ينفخ به النار ، فأطلق على الزق اسم الكير مجازا وقيل الكير هو الزق نفسه أما البناء فاسمه الكور ·

يحذيك : يعطيك ويتحفك منه بشىء هبة ·

لا يعدمك : بفتح الياء والدال من عدمت الشىء بالكسر أعدمه أى فقدته

---

(١) النووى جـ ١٦ ص ١٧٨ وللبخارى رواية اخرى راجع جـ ٢١ ص ١٣٥ ·

(٢) عمدة القارى جـ ١١ ص ٢٢٠ ·

وضبط بضم الياء وكسر الدال من عدمت الشيء بالكسر أعدمه ومعناه ليس يعدوك ٠

السوء جاء بفتح السين وضم السين أيضا وهو ضد الصالح ٠

الاعراب :

مثل الجليس الصالح : مثل مبتدأ الجليس مضاف اليه والصالح صفة والجليس السوء معطوف على المبتدأ كحامل المسك خبر المبتدأ ونافخ الكير معطوف ٠

فحامل المسك : الفاء فاء الفصيحة حامل المسك مبتدأ اما تفصيلية **وأن يحذيك** وما بعده معطوفات على بعضها فى محل الخبر ، فى المعنى عدم الخلو ٠

البلاغة :

١ ـ فى الحديث تشبيه تمثيلى فى تشبيه الجليس الصالح صاحب الأخلاق النبيلة والأفعال الحميدة ببائع المسك الكريم الذى لا يعدم جليسه من فائدة ، وتشبيه الجليس السيء الأخلاق الردىء الأعمال بالرجل الذى يتعامل مع النار الذى لا يأمن حتى على نفسه منها بله جليسه أن يأمن من شرها ٠

٢ ـ وفيه أيضا مجاز مرسل على القول بأن الكير هو البناء الذى يركب عليه الرزق حيث أطلق لفظ الكير وأريد به الزق على سبيل المجاز المرسل الذى علاقته المجاورة ٠

٣ ـ فيه اللف والنشر حيث أجمل الكلام فى الأول ثم نشر آخيرا ٠ أو التفصيل بعد الاجمال ٠

٤ ـ وفيه طباق بين الصالح والسوء وبين ريحا طيبة وريحا خبيثة أو مقابلة ٠

---

(٣) عمدة القارى جـ ١١ ص ٢٢٠ ٠

المعنى :

فى الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق، والورع والعلم والأدب وينهى عن مجالسة **أهل الشر وأهل البدع** ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ومن يتأذى بمجالسته من النـــاحية الدينية والدنيوية ونحو ذلك وفى الحديث معنى **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ٠**

ما يؤخذ من الحديث :

١ ــ فيه دليل على اباحة المقايسات فى الدين ٠

٢ ــ فيه جواز ضرب الأمثال والعمل فى الحكم بالاشباه والنظائر ٠

٣ ــ فيه دليل على طهارة المسك وفى صحيح مسلم **المسك أطيب الطيب**، وروى أنه صلى الله عليه وسلم تطيب بالمسك ولم يقل أحد بنجاسته غـــير الشيعة وهؤلاء لا يعتد بكلامهم فى الاجماع ٠

٤ ــ فيه جواز بيع المسك واستحباب استعماله ٠

هذا ان أردت معرفة حقيقة المسك وكيفية الحصول عليه ارجع الى عمدة القارىء(٤) ٠ والله أعلم ٠

---

(٤) جـ ١١ ص ٢٢١ ٠

الحـديث الثامن والعشرون

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان ٠

أخرجه مسلم فى القدر وابن ماجة فى المقدمة والزهد وأحمد بن حنبل

المفردات :

المؤمن القوى : المراد بالقوة هنا هو عزيمة النفس والقريحة فى أمور الآخرة ٠ اذن القوة المقصودة ليست قوة البدن ومن هنا ندرك أن الضعف أيضا لم يرد به ضعف البنية والبدن فهو ضعف فمعنوى(١) ٠

احرص : بكسر الراء المقصود بالحرص المحافظة على الطاعة والرغبة فيما عند الله ٠

ولا تعجز : بكسر الجيم وحكى فتحها ومعناها : ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الاعانة من الله تعالى ٠

فان لو تفتح عمل الشيطان وعمل الشيطان هذا هو القاء معارضة القدر والوسوسة ٠

قدر الله : تفتح القاف والدال من غير تشديد الدال : وهو قضاء الله تعالى ٠

---

(١) النووى جـ ١٦ ص ٢١٥ ٠

الاعراب :

المؤمن القوى : مبتدأ وصفة و خير خبر وأحب ما تعلق به معطوف على الخبر ٠

وفى كل خير مبتدأ وخبر الجملة الاسمية معطوفة على مثلها ٠ احرص واستعن ولا تعجز كلهـــا أفعـــال أمر ، **وان أصـــابك شيء فلا تقـــل** ان حرف شرطى الفعل بعده فعل الشرط والفـــاء فى **فلا تعجز** فى جواب الشرط **لا** ناهية **تقل** مجزوم بها **لو** حرف امتناع لامتناع **أنى** أن واسمها فعلت خبرها **كان كذا وكذا** جواب **لو** ولكن للاستدراك لا عمل لها **قل** فعل أمر **قدر الله** خبر لمبتدأ محذوف أى هو قدر الله ٠

ما شاء فعل ما موصولة شاء صلتها **فعل** خبرها ، والجملة اسمية معطوفة على التى قبلها فى محل نصب مقول قول ٠

فان لو تفتح عمل الشيطان : الفاء سببية **ان لو** ان واسمها لان **لو** قصد لفظها **تفتح** خبر ان **عمل** مفعول به والشيطان مضاف اليه ٠

البلاغة :

١ ــ يمكن اعتبار القوة والضعف كلمتان مستعملتان فى غير معناهما الأصل على طريق المجاز لأن المعنى الأصلى لهما هو القوة أو الضعف الجسدى والمستعمل عليه هنا هو العزم فى انجاز العمل أى العبادة ٠

٢ ــ وفى الحديث وصـــل وذلك فى عطف **فى كل خـــير** على الجملة السابقة ٠

٣ ــ وفيه فصل فى قوله **احرص** لانها انشائية والسابقتان خبريتان لفظا ومعنى لذا وصلت التى بعدها عليها لأنها انشائية مثلها ، أما الواو فى **وان أصابك** فحالية ٠

٤ ــ وفى الحديث توكيد فى قوله **فان لو تفتح** لتنزيل المخاطب منزلة المتردد بسبب غرابة الحكم المتقدم ٠

المعنى :

المؤمن اذا كانت له عزيمة النفس والقريحة يكون أكثر اقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا اليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في الله عز وجل لأنه لا يخاف في الله لومة لائم ، كما تجده أرغب وأقدر في أداء الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وهو أنشط طلبا لها ومحافظة عليها ، الا أن هذا لا ينفي وجود الخير في ضعيف العزيمة مع ما يأتي به من العبادات وذلك لاشتراكهما في الايمان ٠

بعد بيان هذا كله أرشدنا أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم الى طريق الحصول على القوة المطلوبة وهو الحرص على ما ينفع من طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واللجوء اليه في طلب الاعانة منه تعالى ولا نكسل عن طلب الطاعة وطلب الاعانة ، واذا أصابنا شيء علينا أن نرد ذلك الى الله لأنه مقدر علينا حتى لا نفتح للشيطان طريق القاء الوسوسة ومعارضة المقدر من الله ٠

قال بعض العلماء : النهي في **ولا تقل لو فعلت كان كذا وكذا** هـذا النهي انما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعا ، أما الذي رد ذلك الى مشيئة الله تعالى وهو معتقد بأنه لن يصيبه الا ما شاء الله فليس مثل هذا هو المقصود ، واستدل القائل بهذا بقول سيدنا أبو بكر في الغار **لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا** الا أن هذا الاستدلال مردود لأنه انما أخبر عن المستقبل وليس فيه دعوى لرد القدر بعد الوقوع ، ومثل هذا ما ورد أيضا في حديث **لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد ابراهيم ٠ ولو كنت راجما بغير شهود لرجمت هذه ٠ و لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك ٠** وشبه ذلك كله مستقبل لا اعتراض فيه على القدر ٠

لذا لا كراهية فيه لأنه أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في مقدرته ، أما ما ذهب فليس في قدرته ٠

ويرى القاضي أن النهي على ظاهره وعمومه لكنه نهي تنزيه(١) ٠

---

(١) النووي جـ ١٦ ص ٢١٦ ٠

هذا وقد جاء استعمال لو فى الماضى فى قوله صـــلى الله عليه وسلم **لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى** ، وغ يرذلك لذا يرى العينى انالنهى انما هو عن اطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فيكون نهى تنزيه لا تحريم ، حسب ما ذهب اليه القاضى ٠

لذا لا بأس من أن يقول ذلك تأسفا على ما فات الانسان من طاعة الله أو تعذر عليه وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود فى الأحاديث ٠٠

والله أعلم ٠

الحـديث التاسع والعشرون

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم ٠

وفى رواية **والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا**(١) ٠٠٠ **الحديث ٠**

أخرجه مسلم فى الايمان وأبو داود فى الأدب والترمذى فى الاستئذان وابن ماجة فى المقدمة وفى الأدب وأحمد بن حنبل فى الجزء الأول والثانى ٠

الاعراب :

فى جميع الروايات **لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا** بحذف النون من آخر ولا تؤمنوا وهى لغـــة صحيحة معروفة(٢) **أولا أدلكم** الهمزة استفهامية قدمت على الواو والأصل وألا أدلكم ــ والواو استئنافية وأفشوا السلام بقطع الهمزة ٠

البلاغة :

فى الرواية الثانية تأكيد للكلام بالقسم فى أول الحديث لأهمية الخبر لا للانكار لأن الصحابة يعرفون دخول الجنة لا يكون الا بالايمان وقد يكون الانسان خالى الذهن عن كمال الايمان أو موت الانسان على الايمان ويجوز أن يكون التأكيد لتنزيل المخاطب منزلة المنكر لغرابة الخبر ٠

فى الحديث فصل فى (أفشوا السلام بينكم) فالجملة انشائية لفظا ومعنى على عكس التى قبلها فهى خبرية لفظا وانشاء ٠

---

(١) النووى جـ ٢ ص ٣٥ ٠

(٢) نفس المرجع جـ ٢ ص ٣٥ ٠

أما الواو فى لا **تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا** حتى ، فهى عطف المفرد على المفرد لأن الجملة فى محل جر أى لها محل من الاعراب فالموضوع ليس من باب الفصل والوصل ، والواو فى **أولا أدلكم** استئنافية لا عاطفة لاختلاف الجملتين كما هو ظاهر لك وسبق شرح ذلك فى المفردات .

المعنى :

لا تدخلون الجنة حتى تموتوا على الايمان فالحديث على ظاهره اذ أن المقصود هو موت المؤمن على ايمانه ، لا دخول المؤمن الجنة بالايمان لأن هذا معلوم لدى المخاطب ، اذن لا يكمل ايمانكم حتى تحابوا ولا يصلح حالكم من غير التحابب ، هذا ويحتمل أن يكون معنى الحديث على ما ذهب اليه الشيخ أبو عمرو(٣) وهو : لا يكمل ايمانكم الا بالتحاب ولا تدخلون الجنة عند دخول أهلها اذا لم تكونوا كذلك .

وفى الحديث حث على افشاء السلام بين المسلمين وبذله على من تعرفه ومن لا تعرفه .

فالسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة وفى افشائه تمكين ألفة المسلمين بعضهم ببعض وهو اظهار لشعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع واحترام واعظام حرمات المسلمين .

هذا وافشاء السلام يتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين فليكن السلام لله لا يتبع هوى النفس ولا يخص به أصحابه وأحبابه ...

والله أعلم .

---

(٣) النووى جـ ٢ ص ٣٦ .

الحـديث الثلاثون

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر فدخلوا فى غار فى جبل فانحطت عليهم صخرة . قال : فقال بعضهم لبعض ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه .

فقال أحدهم : اللهم انى كان لى أبوان شيخان كبيران فكنت أخرج فأرعى ثم أجىء فأحلب فأجىء بالحلاب ، فآتى به أبوى فيشربان ثم أسقى الصبية وأهل وامرأتى ، فاحتبست ليلة ، فجئت فاذا همـــا نائمان ، قال فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر اللهم ان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ، قال ففرج عنهم .

وقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنى كنت أحب امرأة من بنات عمى كأشد ما يحب الرجال النساء ، فقالت لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار فسعيت فيها حتى جمعتها ، فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركتها ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة ، قال ففرج عنهم الثلثين .

وقال الآخر : اللهم ان كنت تعلم أنى استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ ، فعمدت الى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها ثم جاء فقال يا عبد الله اعطنى حقى فقلت انطلق الى تلك البقر وراعيها فانها لك فقال أتستهزىء بى قال فقلت ما أستهزىء بك ولكنها لك ، اللهم ان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنـــا فكشف عنهم .

هذه رواية البخارى فى كتاب البيوع(١) وله أخرى فى كتاب المزارعة والأدب .

---

(١) راجع عمدة القارى جـ ١٢ ص ٢٣ وص ١٧١ وجـ ٢٢ ص ٨٥ .

والآن اليك بالرواية التى أخرج مسلم بها الحديث(٢) فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار .

عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه قال بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا الى غار فى جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم ، فقال بعضهم لبعض أنظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم :

فقال أحدهم : اللهم انه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى وصبية صغار أرعى عليهم فاذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدى فسقيتهما قبل بنى ، وأنه نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقى الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء .

وقال الآخر : اللهم انه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت اليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها ، فلما وقعت بين رجليها ، قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه ، فقمت عنها ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة ففرج لهم .

وقال الآخر : اللهم انى كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز فلما قضى عمله قال : أعطنى حقى ، فعرضت عليه فرقه فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها ، فجاءنى فقال : اتق الله ولا تظلمنى حقى . قلت اذهب الى تلك البقر ورعائها فخذها ، فقال اتق الله ولا تستهزىء بى فقلت انى لا أستهزىء بك ، خذ ذلك البقر ورعاءها ، فأخذه فذهب به ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى ففرج الله ما بقى .

وفى رواية أخرى **خرجوا يمشون** وفى آخرى **يتماشون** .

---

(٢) راجع النووى جـ ١٧ ص ٥٥ واللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ص ٢٣٦ .

المفردات :

فأصابهم المطر وفى رواية بلا فاء **فأووا** بقصر الهمزة ويجوز مدهاوفى رواية فدخلوا الى غار **الغار** النقب فى الجبل (فانحطت عليهم صخرة) أى على باب غارهم **ادعوا** وفى رواية **انظروا** ٠

اللهم لفظ اللهم يستعمل فى كلام العرب على ثلاثة أنحاء :

١ ـ للنداء المحض وهو ظاهر مثل اللهم اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين ٠

٢ ـ للايذان بندرة المستثنى كقولك بعد كلام **اللهم الا اذا كان كذا** ٠

٣ ـ ليدل على تيقن المجيب فى الجواب المقترن هو به ، مثل قولك لمن قال : أرئيس الجامعة موجود ؟ اللهم نعم أو اللهم لا ، كأن القائل يناديه تعالى مستشهدا على صحة ما قاله فى الجواب ، واللهم هنـــا من هذا القبيـــل الأخير(٣) ٠

كان لى أبوان من باب التغليب وفى رواية **والدان** ٠

فاذا أرحت أى اذا رددت الماشية من المرعى اليهم ٠ ويقال مراح الماشية وهى من أرحتها وروحتها ٠

نأى بى ذات يوم الشجر وفى رواية **نأبى** الأول بعد والثانى البعد ٠

الحلاب : هو الاناء الذى يحلب فيه ويسع حلبة ناقة ويقال له المحلب بكسر الميم ٠

يتضاغون : يصيحون ويستغيثون من الجوع دأبى : شأنى وشأنهمـــا وهو العادة ٠

ابتغاء وجهك : طلبا لمرضاتك والمراد بالوجه الذات ٠

فافرج : دعاء من نصر ينصر ، وهو بضم الراء وورد بكسرها فى لغة العرب ٠

فرجة : الفرجة بضم الفاء هو فى الحائط كالشق ٠ وبالفتح فى الأمر أى فى الأمور المعنوية ، وهو هنا بالضم على مالا يخفى ٠

---

(٣) عمدة القارى جـ ٢٢ ص ٢٤ ٠

الفرق : مكيال يسع ثلاثة آصع وهو بفتح الفاء والراء وسكون الراء .

فسعيت بها : وفى رواية فبغيت حتى جمعتها أى طلبت وهو من البغى بمعنى الطلب ، **لما قعدت بين رجليها** . وفى رواية **لما وقعت** أى جلست مجلس الرجل للايقاع . **فرغب عنه** أى كرهه وسخطه وتركه .

فعمدت أى قصدت يقال عمدت اليه وعمدت له أعمد عمدا أى قصدت .

الاعراب :

يمشون جملة حالية على رواية ثلاثة نفر . **فأصابهم** الفاء عاطفة على خرج وهناك رواية بدون فاء لانه خبر **بينما** .

فآتى به **أبوى** أصله : **أبوان لى** فلما أضيف الى ياء المتكلم وسقطت النون وانتصب على المفعولية قلبت ألف التثنية ياء وادغمت الياء فى الياء .

فيشربان الفاء حرف عطف . جملة يشربان معطوفة على محذوف تقديره **فأناولهما اياه فيشربان** . **قبل أن أسقى بنى** ، أصله بنون لى فلما أضيف الى ياء المتكلم سقطت النون وقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء فصار **بنى** **وأهلى** المراد بهم هنا الاقرباء ما عدا الزوجة حتى لا يكون قوله وامرأتى من باب عطف الشىء على نفسه .

والسين فى **استأخرت** ليست للطلب فهو بمعنى تأخرت فأخر واستأخر بمعنى واحد .

ذات يوم الاضافة فيه من قبيل اضافة المسمى الى الاسم أى قطعة من زمان هذا اليوم أى من صاحبة هذا الاسم .

فاذا هما نائمان اذا فجائية فهى تضاف الى جملة . **اذن هما** مبتدأ ، نائمان خبر والجملة مضاف اليها **اذا** .

والصبية يتضاغون الواو حالية والجملة فى محل نصب حال . **ابتغاء** منصوب على أنه مفعول له .

أبى أن يأخذ أن مصدرية أى أبى الأخذ .

البلاغة :

١ - أبوان من باب التغليب اذ المقصود هو الأب والأم فغلب جانب الأب ٠

٢ - الحلاب مجاز مرسل وعلاقته المحلبة لأن الحلاب هو مكان اللبن أطلق وأريد به اللبن على سبيل المجاز ٠

٣ - فيشربان ايجاز بالحذف وقد شرح فى الاعراب ٠

٤ - فى رواية **نأى بى ذات يوم الشجر** مجاز اسنادى أى نأى بى طلب الشجر ٠

٥ - تشبيه فى قوله **أحب امرأة من بنات عمى كأشد ما يحب الرجل** النساء حيث شبه محبته لها بأشد محبة يمكن أن تقع بين الرجل والمرأة ويمكن اعتبار الكاف زائدة ٠

٦ - هناك التفات عند قوله **لا تنال ذلك منهـا** كان مقتضى السياق لا تنال ذلك منى حتى تعطنى مائة دينار ٠

٧ - لا تفض الخاتم أو لا تفتح الخاتم : كناية عن ازالة بكارتها ، الا بحقه : أى النكاح الصحيح الحلال وهو حق الخاتم ٠

٨ - استعارة بالكناية فى اثبات الحق للخاتم كأن الخـاتم انسان له حقوق ٠

المعنى وما يؤخذ من الحديث :

١ - فيه اخبار عن متقدمى الأمم وذكر أعمالهم لترغيب أمته فى القيام بمثلها ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يتكلم بشىء الا لفائدة ، واذا كان مزاحه كذلك فما ظنك بأخباره ٠

٢ - فيه جواز بيع الانسان مال غيره بطريق الفضول والتصرف فيه بغير اذن مالكه اذا أجازه المالك بعد ذلك ، وقال بعضهم : ان ذلك يبتنى على أن شرع من قبلنا شرع لنا والجمهور على خلافه ، والصحيح ان شرع من قبلنا يلزمنا ما لم يقض الشارع الانكار عليه ، ويلاحظ أنه ذكر هذ القصة فى معرض المدح والثناء على فاعلها وأقره على ذلك ٠

٣ ـ وفيه اثبات كرامات الأولياء والصالحين وهو مذهب أهل الحق ، كما قال النووى(٤) ٠

٤ ـ وفيه فضل بر الوالدين وخدمتهما وايثارهما على غيرهما ٠

٥ ـ وفيه استحبا بالدعاء فى حال الكرب والتوسل بصالح العمل الى الله تعالى مثل دعاء استسقاء وكما ورد هنا وآنه صلى الله عليه وسلم ذكر القصة فى معرض المدح والثناء عليهم ٠

٦ ـ فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات بعد القدرة عليها والهم بفعلها ثم تترك لله تعالى ٠

٧ ـ جواز الايجار بالطعام وفضيلة أداء الأمانة وحسن الأداء والسماحة فى المعاملة ٠

٨ ـ قبول التوبة ، وأن من صلح فيما بقى غفر له وأن من هم بسيئة فتركها ابتغاء وجه الله كتب له أجرها ولمن خاف مقام ربه جنتان ٠

٩ ـ فيه سؤال الرب جل جلاله بانجاز وعده ، قال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وقال : ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ، نسأل الله أن يجعل لنا فى كل أمورنا يسرا ٠ والله أعلم ٠

---

(٤) النووى على مسلم جـ ١٧ ص ٥٦ ٠

الحـديث الحادى والثلاثون

عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ، ثم قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده .

أخرجه مسلم(١) واليك بالرواية التى أخرجها البخارى .

عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال : ارجع الى مكانى فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فاذا راحلته عنده(٢) .

أخرجه البخارى فى الدعوات ومسلم فى التوبة والترمذى فى القيامة وفى الدعوات وابن ماجة فى الزهد والدارمى فى الرقاق وأحمد بن حنبل فى جـ ١ ، ٢ ، ٣ .

المفردات :

لله : اللام المفتوحة فى أول لفظ الجلالة للتأكيد .

أشد فرحا : وفى رواية **أفرح** المراد بالفرح هنا هو الرضا قال الخطابى المعنى أن الله أرضى بالتوبة وأقبل بها(٣) .

---

(١) راجع النووى جـ ١٧ ص ٦١ واللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ص ٢٣٨ .
(٢) عمدة القارى جـ ٢٢ ص ٢٨٠ .
(٣) راجع عمدة القارى جـ ٢٢ ص ٢٨١ ، النووى جـ ١٧ ص ٦٠ .

التوبة : فى اللغة الرجوع ويقال تاب وثاب بالمثلثة وآب بمعنى رجع والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الذنوب ولها ثلاثة أركان :

١ ـ الاقلاع ٠
٢ ـ الندم على فعل تلك المعصية ٠
٣ ـ العزم على أن لا يعود اليها أبدا ٠
ثم ان كانت المعصية متعلقة بحق آدمى يكون لها ركن رابع :
٤ ـ وهو التحلل من صاحب ذلك الحق ٠

والأصل فى التوبة هو الندم وهو الركن الأعظم واتفقوا على أن التوبة من جميع الذنوب واجبة أى : **المعاصى** ، ولا يجوز تأخرها سواء كانت عن صغيرة أو كبيرة ٠

وبه مهلكة : به : أى بالمنزل ، **مهلكة** بفتح الميم وكسر اللام وفتحها ، هو مكان الهلاك ويروى على وزن اسم الفاعل أو بمعنى يهلك من حصل فيها أى يهلك سالكها ، وهو موضع خوف الهلاك ، وفى رواية : **فى أرض دوية مهلكة** ، الدوية بفتح الدال وتشديد الواو والياء ، وروى **داوية** وبتشديد الياء وهى الأرض القفر والفلاة الخالية ، وهى المفازة وهى نسبة الى **الدو** بتشديد الواو ، وهى البرية والداوية هو ابدال لاحـــدى الواوين وهى البرية التى لا نبات بها(٤) ٠

أو ما شاء الله شك من الراوى وهو : **ابن شهاب** ٠

الاعراب :

لله اللام للتأكيد ، لفظ الجلالة مبتدأ **أشد** أو **افرح** خبر المبتدأ **بتوبة** : الباء سببية ، و **وبه مهلكة** الواو حالية ، **به** خبر مقدم مهلكة مبتدأ مؤخر ٠ وكذلك الجملة التى بعدها **حتى أموت** حتى للغاية وأموت مضارع منصوب بأن بعد حتى **فاذا** : اذا فجائية مضافة الى الجملة بعدها ٠

البلاغة :

صدر الكلام بالتأكيد للاهتمام به ، واطلاق الفرح على الله تعالى مجاز

---

(٤) راجع النهاية مادة (دوا) ٠

مرسل علاقته اللزومية لأن الفرح والرضى متلازمان فعبر هنا بالفرح عن الرضا تأكيدا لمعنى الرضا فى نفس السامع(٥) ، لأن السرور والفرح المتعارف عندنا لا يجوز اطلاقهما على الله تعالى وعبارة النووى : المراد هنا أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده أشد مما يرضى واجد ضالته بالفلاة ، فعبر بالفرح تأكيدا لمعنى الرضا فى نفس السامع ومبالغة فى تقريره ، وعبارة النووى أحسن عندى(٦) ٠

والحديث فى مجموعه تمثيل أتى به لتقريب المعنى الى ذهن السامع وقد جاء على الأصل حيث شبه ما يجهله المخاطب بأوضح وأقرب معنى الى ذهن السامع وهو الراحلة والزاد والفلاة المهلكة ، ولا شك أن العربى يعيش هذه الأمور دائما اما مباشرة واما بطريق غير مباشر اذا كان من أهل المدن ٠

المعنى :

سبق أن تحدثنا عن أركان التوبة وعلمنا أن حكمها الوجوب الفورى ووجوبها عند أهل السنة بالشرع وبالعقل عند المعتزلة ٠

الا أنه ينبغى أن يعرف أنه لا يجب على الله قبولها ولو وجدت بشروطها عقلا عند أهل السنة لكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرما وفضلا ، وقبولها منه عرفناه بالشرع والاجماع خلافا للمعتزلة(٧) ٠

ثم اذا تاب العبد من ذنب ثم ذكره هل يجب تجديد الندم ؟ فيه خلاف عند أهل السنة ٠ قال الانبارى يجب وقال امام الحرمين لا يجب وتصح التوبة من ذنب وان كان مصرا على ذنب آخر ٠

واذا تاب توبة صحيحة بشروطها ثم عاود ذلك الذنب كتب عليه ذلك الذنب الثانى ولم تبطل توبته ٠ هذا مذهب أهل السنة فى المسألتين وخالفت المعتزلة فيهما ويرى أهل السنة ولو تكررت التوبة ومعاودة الذنب صحت ٠

أما توبة الكافر من كفره فمقطوع بقبولها وما سواها من أنواع التوبة هل مقطوع به أم مظنون فيه خلاف لأهل السنة واختار أمام الحرمين أنه مظنون وهو الأصح(٨) ٠٠٠ والله أعلم ٠

---

(٥) راجع عمدة القارى جـ ٢٢ ص ٢٨١ ٠
(٦) النووى جـ ١٧ ص ٦١ ٠
(٧) المرجع السابق جـ ١٧ ص ٥٩ ٠
(٨) المرجع السابق جـ ١٧ ص ٦٠ ٠

الحـديث الثانى والثلاثون

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عزاب أليم - رجل على فضل ماء بالغلاة يمنعه من ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر ، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع اماما لا يبايعه الا لدنيا فان أعطاه منها وفى وفى وان لم يعطه منها لم يف :

أخرجه مسلم فى الايمان(١) ٠

وفى رواية للبخارى كالآتى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل ورجل بايع اماما لا يبايعه الا لدنيا فان أعطاه منها رضى وان لم يعطه منها سخط ، ورجل أقام سلعته بعـــد العصر ، فقال والله الذى لا اله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل ، ثم قرأ هذه الآية(٢) (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) ٠

وتمام الآية (أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عزاب أليم)(٣) ٠

أخرجه البخارى فى الشهادات وفى المساقاة وفى الأحكام والنسائى فى البيوع وابن ماجة فى التجارات وفى الجهاد وأبو داود فى البيوع ٠

المفردات :

ثلاث : وردت هذه الكلمة بدون تاء بمعنى **ثلاث رجال** : وبتاء بمعنى

---

(١) النووى جـ ٢ ص ١١٥ ، راجع اللؤلؤ والمرجان جـ ١ ص ٢٠ ٠
(٢) عمدة القارى جـ ١٢ ص ١٩٩ ، وجـ ١٣ ص ٢٥٢ ٠
(٣) سورة آل عمران آية ٧٧ ٠

ثلاثة أنفس ، أو أشخاص فى الرواية بالتاء ٠

ولا ينظر اليهم : أى يعرض عنهم ونظره تعالى لعباده هو رحمته ولطفه بهم فهى عبارة عن عدم الاحسان اليهم ٠

ولا يكلمهم : أى لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات باظهار الرضى بل بكلام أهل السخط والغضب ، وقيل لا يرسل اليهم الملائكة بالتحية ٠٠

ولا يزكيهم : لا يطهرهم من دنس ذنوبهم وقيل لا يثنى عليهم ٠

عذاب : هو العذا بالذى يخلص الى قلوبهم والعذاب فى اللغة هو كل ما يعيى الانسان ويشق عليه ، وهو من العذاب وهو المنع يقال عذبته عذبا اذا منعته لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه ويمنع غيره من مثل فعله ٠

أقام : من قامت السوق اذا نفعت ٠ **سلعته** : متاعه ٠ **الغلاة** : المفازة والقفر التى لا أنيس فيها ٠ **وفى** : من الفاء بالعهد ٠

ابن السبيل : المسافر ٠ **الامام** : المراد به الامام الأعظم امام المسلمين والمبايعة التعاقد والمعاهدة فكأن كل واحد منهما باع ما عنده من صـــاحبه واعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره ٠

الاعراب :

ثلاث أو ثلاثة مبتدأ لأنه على تقدير ثلاثة أشخاص أو رجـــال وخبره **لا ينظر الله اليهم** أو **لا يكلمهم الله** فى الحديث الآخر ٠ **رجل** خبر لمبتدأ محذوف أى الواحد من الثلاثة **كان له فضل ماء** له خبر كان مقدم فضل ماء اسمها مؤخر **فمنعه** الضمير عائد الى الماء ٠

رجل مثل الرجل الأول خبر لمبتدأ محذوف أى الثانى من الثلاثة ٠

الا لدنيا اللام للتعليل أى لأجل دنيا ٠ **فان أعطاه** الفاء تفسيرية تفسر مبايعته للامام ٠

البلاغة :

١ ــ **لا ينظر** هو كناية عن عدم الاحسان اليهم يوم القيامة ٠

٢ ــ فى الحديث لف ونشر حيث قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم٠٠ **الى أن** قال

رجل فدخل فى التفسير والنشر فيما أجمله فى أول الحديث ، ولا شك أن فى ذلك تنبيه للذهن فى الأول ثم تمكين المعنى وتركيزه فى الآخر ٠

٣ ــ فيه تأكيد الحديث المحكى بعدة طرق ــ الأول الحلف والثانى بقد ، واللام الداخلة على **قد** وبتوحيد الله عز وجل ٠

المعنى :

ينبغى أن نعرف ان التنصيص على العدد لا ينافى الزائد فالذى ذكره من الوعيد لا ينحصر فى هؤلاء الثلاثة(٤) ٠ وكذلك تخصيص بعد العصر ليس بقيد وانما خرج هذا مخرج الغالب اذ كانت عادتهم الحلف بمثله وذلك لأن الغالب أن مثله كان يقع آخر النهار حيث أرادوا الانعزال عن السوق والفراغ عن معاملتهم ٠ وقيل خص العصر بالذكر لما فيه من زيادة الجراءة كما أن العصر هو وقت صعود ملائكة النهار ولهذا يغلظ فى أيمان اللعان به ٠ **وقيل** لأن وقت العصر وقت تعظم فيه المعاصى لارتفاع الملائكة بالأعمال الى الرب تعالى فيعظم أن يرتفعوا بالمعاصى ويكون آخر عمله هو المرفوع فالخواتم هى المرجوة وان كانت الايمان الفاجرة محرمة فى كل وقت ٠

ثم الثلاث المذكورين فى الحديث ليسوا كل من ذكر لأن هناك غيرهم فى أحاديث أخرى منهم المسبل أزاره خيلاء والمنان الذى لا يعطى شيئا الا منه **بتشديد النون** والشيخ الزانى والملك الكاذب وعائل مستكبر أى فقـــير متكبر ٠

نعود فى المذكورين فى هذا الحديث ٠

١ ــ رجل منع فضل الماء من ابن السبيل المحتاج ويلاحظ المذكور هو فضل الماء أى الزائد عن حاجة الرجل ، ولا شك فى غلظ تحريم ما فعل وشدة قبحه ، فاذا كان من يمنع فضل الماء الماشية عاصيا فكيف بمن يمنعه الآدمى المحترم كالذى الكلام عليه الآن ، أما لو كا نابن السبيل غير محترم كالحربى والمرتد فلم يجب بذل الماء له ٠

٢ ــ رجل حلف كاذبا بعد العصر هذا الرجل يستحق هذا الوعيد وقد خص وقت العصر لشرفه الذى ذكرناه ٠

---

(٤) عمدة القارى جـ ١٢ ص ١٩٩ ٠

٣ - رجل بايع الامام على الوجه السابق ذكره وقد استحق هذا الوعيد لغشه المسلمين وامامهم وتسببه فى الفتن بينهم بنكثة بيعته لا سيما ان كان ممن يقتدى به ٠

سبق أن أشرنا الى المسبل : المقصود وهو الذى يرخى ازاره ويجر طرفه خيلاء كما جاء مفسرا فى حديث آخر ، والخيلاء : هو الكبر ، وهذا التقييد بجره خيلاء يخصص عموم المسبل ازاره ، ويدل على أن المراد بالوعيد هو من جره خيلاء وقد رخص النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال : **لست منهم** اذ كان جره لغير الخيلاء ، ويأخذ حكم الازار غيره ، وقد جاء ذلك مبينا منصوصا عليه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رواية سالم بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الاسبال فى الازار والقميص والعمامة من جر شيئا خيلاء لم ينظر الله تعالى اليه يوم القيامة »(٥) ٠ رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة باسناد حسن ٠ والله أعلم ٠

---

(٥) راجع النووى جـ ٢ ص ١١٦ ٠

الحـديث الثالث والثلاثون

عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال : مدح رجل رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم قال فقال : ويحك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك مرارا ، اذا كان أحدكم مادحا صاحبه لا محـــالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ، ولا أزكى على الله أحدا ، أحسبه ـ ان كان يعلم ذلك كذا وكذا ٠

أخرجه مسلم فى الزهد(١) ٠ والبخارى فى الشهادات وفى الأدب وأبو داود فى الأدب أيضا ٠

ورواية البخارى كالآتى :

عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال أثنى رجل على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال ويلك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك مرارا ثم قال من كان منكم مادحا أخاه لا محالة ، فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أزكى على الله أحدا ، أحسبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك منه(٢) ٠

وفى رواية أخرى له :

ان كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله ولا يزكى على الله أحدا ٠

المفردات :

أثنى رجل على رجل : قيل يحتمل أن يكون المثنى بكسر النون هو محجن ابن الأدرع الأسلمى وأن يكون المثنى عليه ، ذو البجادين ، لأن للأول حديثا عند الطبرانى لا يبعد أن يكون هو اياه ، وللثانى حديثا عند ابن اسحاق يشعر أن يكون المثنى عليه ذو البجادين(٣) ٠ وذو البجادين بكسر الموحدة اسمه عبد الله بن عبدبهم المزنى مات فى غزوة تبوك قال فبد الله بن مسعود

---

(١) راجع النووى جـ ١٨ ص ١٢٦ واللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ص ٣٢٨ ٠
(٢) راجع عمدة القارى جـ ١٣ ص ٧٣٧ وجـ ٢٢ ص ١٣٢ ٠
(٣) عمدة القارى جـ ١٣ ص ٢٣٨ ٠

رضى الله تعالى عنه دفنه النبى صلى الله عليه وسلم وحطه بيده فى قبره وقال : **اللهم انى قد أمسيت عنه راضيا فارض عنه** • قال ابن مسعود فليتنى كنت صاحب الحفرة

ويحك : كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها وقد تقال بمعنى المدح والتعجب •

ويلك : لفظ الويل فى الأصل : الحزن والهلاك والمشقة من العـــذاب وتستعمل بمعنى التفجع والتعجب وههنا كذلك •

لا محالة : بفتح الميم البتة أى لابد منه والميم زائدة •

أحسب فلانا : أى أظنه من حسب يحسب بكسر العين فى الماضى وفتحه فى المستقبل محسبة وحسبانا بالكسر معناه الظن ، وأما حسبته أحسبه بالضم حسبا وحسبانا وحسابة اذا عددته •

والله حسيبة : أى كافية فعيل بمعنى مفعول من أحسبنى الشىء اذا كفانى •

وحسيبه الله : بفتح الحاء وكسر السين يعنى يحاسبه على عمله الذى يعلم بحقيقة حاله • **ان كان يرى :** بضم الياء أى يظن •

ولا أزكى على الله أحدا : أى أقطع له على عاقبة أحد بخير ولا غيره لأن ذلك مغيب عنا ولكن نقول نحسب ونظن لوجود الظاهر المقتضى لذلك •

كذا وكذا : أى أنه على حالة كذا وصفة كذا ان كان يعلم ذلك منه • و **يعلم هنا :** بمعنى يظن وكثيرا ما يجىء العلم بمعنى الظن ، قلنا ذلك حتى لا يقال اذا كان يعلم منه فلم يقول أحسبه •

الاعراب :

ويحك : منصوبة على المصدرية ، وقد ترفع ، وتضاف ولا تضاف ، فيقال ويح زيد وويحاله وويح له • وكذلك كلمة **ويلك** تنتصب عند الاضافة وترتفع عند القطع وانتصابها بعامل من غير لفظها(٤) •

---

(٤) راجع عمدة القارى ج ٢٢ ص ١٣٣ •

قطعت عنق صاحبك : قطع فعل ماضى التاء فاعـــل عنق مفعول به ومضاف الى صاحبك **مرارا** مفعول مطلق بعامل محذوف ٠

من كان منكم مادحا أخاه من موصولة كان ناقصة اسمها يعود على **من** مادحا خبرها أخاه مفعول لمادحا ٠ لأنه اسم فاعل ٠

حسيبه الله جملة اعتراضية ، والجملة **ان كان يرى أنه كذلك** حالية فهى حال من فاعل فليقل ٠

ولا يزكى على صيغة المعلوم **أحدا** منصوب به ، وقد جـــاء على صيغة المجهول ٠ و **أحد** نائب عن الفاعل ، أى لا يقطع على عاقبة أحـــد على ما فى ضميره لأن ذلك مغيب عنه ٠

البلاغة :

١ ــ لم يصرح باسم الرجل نظرا لعدم أهمية تعيين الاسم حيث المهم هو القصة المحكية ٠

٢ ــ قطعت عنق وفى رواية ظهر الرجل فيه استعارة تبعية حيث شبه الهلاك من الناحية الدينية ، بالقتل بقطع العنق أو الظهر ثم اشتق من المصدر قطع على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية ٠ وذلك لاشتراك الاثنين فى الهلاك الذى هو وجه الشبه وان افترقا من حيث أن هذا الهلاك فى الدين وذاك فى الدنيا ٠

٣ ــ **لا أزكى على الله أحدا** هذه الجملة جاءت فى بعض الروايات **تزكى** فهى بهذه الصورة تكون خبرية لفظا وانشائية معنى ، لأن معناها النهى ٠

المعنى :

هذا الحديث ينهى المدح على الوجه أى بحضور الممدوح اذن كيف العمل ، اذا علمنا أن هناك أحاديث كثيرة وردت بالمدح فى الوجه كيف التوفيق اذن ٠

التوفيق هو أن النهى محمول على المجازفة فى المدح أى الأطراء والمبالغة ومجاوزة الحد فى المدح والزيادة فى الأوصاف أو على مدح من يخاف عليه فتنة من اعجاب وكبر وغرور ونحو ذلك، فيما اذا سمع المدح ٠

أما من لا يخاف عليه من ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهى فى مدحه فى وجهه اذا لم يكن فى المدح مجازفة ، بل ان كان يحصل بذلك مصلحة كتنشيط فى الخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به مع الا من كان مستحبا(٥) ٠

لذا نرى المداحين الذين أمر بحثو التراب فى وجوههم هم الذين يزيدون ويطرون فى المدح ، فهم مداحون على غير حق(٦) ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مدح على الحق فى الاشعار والخطب والمخاطبة ولم يحث التراب فى وجوه المادحين ولا أمر بذلك ، وممن مدحه صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما ، والله أعلم ٠

---

(٥) عمدة القارى جـ ١٣ ص ٨٣٨ ٠

(٦) راجع النووى جـ ١٨ ص ١٢٦ - ١٢٨ وعمدة القارى جـ ١٣ ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ٠

الحـديث الرابع والثلاثون

عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الصدق بر وان البر يهدى الى الجنة ، وان العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب فجور وان الفجور يهدى الى النار وان العبد ليتحرى الكذب حتى يكتب كذابا(١) ٠

أخرجه البخارى فى باب الأدب ومسلم فى البر وأبو داود فى الأدب والترمذى فى البر وابن ماجة فى المقدمة والموطأ فى الكلام ٠

وفى رواية : **ان الصدق يهدى الى البر** ٠ و **ان الرجل ليصدق** ٠ مكان **ان العبد** ٠ و **ان الكذب يهدى الى الفجور** ٠ و **ان الرجل ليكذب** ٠ وفى رواية أيضا : **عليكم بالصدق** ٠ و **اياكم والكذب** ٠ و فى النهاية : **يكتب عند الله كذابا** ٠ و **حتى يكون صديقا** ٠ بدلا من **حتى يكتب صديقا** ٠

المفردات :

الصدق : ضد الكذب وله أقسام ستأتى ان شاء الله ٠

البر بكسر الباء وتشديد الراء : اسم جامع للخير كله ، وقيل **البر :** هو الجنة ويجوز أن يتناول العمل الصالح ٠

الفجور : هو شق ستر الديانة وهو ضد البر ، وقيل الميل عن الاستقامة فهو اسم جامع للشر كله لأنه نقيض البر ، لذا قيل انه يهدى الى النار قال تعالى :

(ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم)(٢) فهما متقابلان ، وقيل الفجور هو الانبعاث الى المعاصى ٠

---

(١) راجع اللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ص ١٩٨ والنووى جـ ١٦ ص ١٥٩ ، وعمدة القارى جـ ٢٢ ص ١٥٣ ٠

(٢) سورة الانفطار آية ١٣ ٠

تحرى الصدق : هو قصده والاعتناء به . **يهدى** : الهداية هى الدلالة بلطف أى الدلالة الموصلة الى البغية .

صديقا : من ابنية المبالغة ونظيره الضحيك ، والمراد به فرط صدقه حتى يصدق قوله العمل .

البلاغة :

١ - فى الحديث تأكيدات عدة متتالية فى أول كل جملة وبعضها مضاف اليه لام التأكيد و **ان** داخلة فى هذه الجمل كلها على الأسماء وذلك أيضا تأكيد آخر ، وهذا التأكيد يجوز أن يكون لأهمية الخبر ويجوز أن يكون للتنزيل .

٢ - فى الحديث طباق بين الصدق والكذب وبين البر والفجور وبين الجنة والنار .

٣ - وفيه أيضا وضع المظهر موضع المضمر فى : **وان البر يهدى** . **وان الفجور يهدى** .

٤ - تنكير **صديقا** : للتعظيم والتفخيم أى بلغ فى الصدق غايته ونهايته حتى دخل فى زمرة الصديقين واستحق ثوابهم وهم الذين قال تعالى عنهم : (الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ..)(٣) الآية .

المعنى :

هذا الحديث وضح لنا أن الصدق يهدى من التزم به الى العمل الصالح الخالص من كل مذموم لذلك جاءت بعض العبارات بصيغة : **عليكم بالصدق** ، للحث على تحرى الصدق والتزامه ليعتاده العبد ويكتب صديقا ، وبالعكس بالنسبة للكذب فقد جاء التعبير بلفظ : **اياكم والكذب** ، على التحذير من الكذب والتساهل فيه لأن العبد اذا تساهل فيه كثر منه فعرف به وأصبح معتادا له ، وبالتالى يكتب كذابا عند الله والعياذ بالله .

---

(٣) سورة النساء آية ٦٩ .

والكتابة هنا معناها هى أن يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم ، أو صفة الكذابين وعقابهم ، والمراد هو اظهـــار ذلك للمخلوقين اما أن يكتبه فى ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين فى الملأ الأعلى واما بأن يلقى ذلك فى قلوب الناس وألسنتهم كمـــا يوضع له القبـــول والبغضاء(٤) . والا فقدر الله تعالى وكتابه السابق قد سبق بكل ذلك .

والآن بقى أن نتناول ما سبق أن أشرنا اليه ، وهو أقسام الصدق وهى كالآتى :

١ ــ اطلاق الصدق على اللسان أى صدقه وهو نقيض الكذب .

٢ ــ اطلاقه على الصدق فى النية وهو الاخلاص فيراعى العبد معنى الصدق فى مناجاته لا يكون ممن قال : **وجهت وجهى لله** ، وهو غافل كاذب .

٣ ــ اطلاقه على العزم على خير نواه ، أى يقوى عزمه أنه اذا ولى مثلا لا يظلم .

٤ ــ الصدق فى الوفاء بالعزم ، أى حال وقوع الولاية مثلا .

٥ ــ اطلاقه على الصدق فى الأعمال وأقله استواء سريرته وعلانيته .

٦ ــ اطلاقه على المقامات كالصدق فى الخوف والرجاء وغيرهما .

فمن اتصف بالستة أو ببعضها كان صادقا ــ نسأل الله تعالى أن يمكننا للاتصاف بها كلها آمين .

هذا وهناك حديث لصفوان بن سليم يعارض هذا الحديث الذى رواه عبد الله بن مسعود فى الظاهر وهو انه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : **أيكون المؤمن كذابا قال : لا** وهناك أيضا حديث : **يطبع المؤمن على كل شىء ليس الخيانة والكذب** . كيف اذن يكون التوفيق بين المعنيين .

وفق ذلك بالقول بأن المراد بالمؤمن فى حديث صفوان : المؤمن الكامل أى لا يكون المؤمن المستكمل لأعلى درجات الايمان كذابا حتى يغلبه الكذب لأن **كذابا** على وزن فعال وهو من أبنية المبالغة لمن يكثر الكذب منه ويتكرر حتى يعرف به وكذلك الكذوب وهذا الكلام فى الحديث الآخر(٥) .. والله أعلم .

---

(٤) راجع النووى جـ ١٦ ص ١٦٠ ، وعمدة لقارى جـ ٢٢ ص ١٥٣ .

(٥) راجع النووى جـ ١٦ ص ١٦٠ ، ١٦١ .

الحـديث الخامس والثلاثون

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف ، قيل من يا رسول الله ؟ قال من أدرك أبويه عند الكبر : أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة ٠

وفى رواية أخرى :

عن أبى هريرة أيضا : **رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه ، قيل من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر : أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة ٠**

أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب البر والصلة والآداب(١) ٠ وأحمد ابن حنبل فى الجزء الثانى ٣٤٦ ٠

المفردات :

رغم : قال أهل اللغة معناه : ذل ، وقيل كره وخزى وهو يفتح الغين وكسرها وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها وأصله لصق أنفه بالرغام وهو التراب مختلط برمل وقيل الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه ٠

الاعراب :

رغم أنف أو أنفه : رغم فعل ماض وأنف أو أنفه فاعل والضمير يرجع الى **من** المقدر فى أول الحديث أي من أدرك الى آخر الحديث رغم أنفه ٠ و **من يا رسول الله** اسم استفهام ٠ من أدرك أبويه عند الكبر من اسم موصول خبر لمبتدأ محذوف ، أدرك فعل ماض **أبويه** مفعول به منصوب بالياء الجملة صلة الموصول **أحدهما** بدل من أبويه **أو** للعطف كليهما معطوف منصوب بالياء ملحق بالمثنى **فلم يدخل الجنة** الفاء أو **ثم** للعطف يدخل مجزوم بلم الجنـــه مفعول به ٠

---

(١) راجع النووى جـ ١٦ ص ١٠٨ ٠

البلاغة ٠

رغم أنف تركيب مجازى ترك معناه الأصلى واستعمل فى معنى آخر ، وهو الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره(٢) ٠

وتكرار هذه الجملة بهذا المعنى جاء فى أول الحديث لتنبيه ذهن السامع الى أهمية ما جاءت الجملة لأجله ٠ ولا شك عدم دخول الجنة ، أو الأمر الذى يحول دون دخول الجنة أمر عظيم يستحق مثل ذلك التنبيه وهذه العناية ٠

والحديث يشتمل على الحث على بر الوالدين وعظم ثواب ذلك فان برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك ، سبب لدخول الجنة وبالتالى التقصير فى ذلك يكون سببا لفوات دخول الجنة ، والعياذ بالله — والله أعلم ٠٠

---

(٢) راجع مادة (رغم) فى النهاية ٠

الحـديث السادس والثلاثون

عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد الله الا رفعه الله ٠

أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة(١) والترمذى فى البر ٨٢ والموطأ فى الصدقة وأحمد بن حنبل فى جـ ٢/٢٣٥ ، ٣٨٦ ، ٤٣٨ والدارمى فى الذكاة ٠

الاعراب :

ما نقصت : ما نافية نقصت فعل ماضى **صدقة** فاعل ، من مال متعلق بنقصت ، الواو حرف عطف ، **ما :** نافية ٠ **زاد :** فعل ماضى لفظ الجلالة فاعل يعفو متعلق بزاد ٠ **الا :** أداة استثناء **عزا :** مستثنى ، والباقى ظاهر ٠

البلاغة :

١ ـ الحديث من جمل خبرية ثلاثة وكلها موصولة ببعضها ليس فيها فصل ٠

٢ ـ فى الجملتين الأخيرتين قصر عن طريق النفى والاستثناء (ما و الا)٠

٣ ـ وفى الجملة الأخيرة وضع المظهر موضع المضمر وهو لفظ الجلالة فى قوله ٠

ما تواضع أحد لله الا رفعه الله ٠ كان المقتضى عدم التكرار ، لكن جاء التكرار لبيان عظم نتيجة التواضع وأن الذى يرفعه هو الله ٠

٤ ـ وطباق بين نقصت وزاد ٠

المعنى :

١ ـ **ما نقصت صدقة من مال** ذكر فى معناها وجهين :

---

(١) راجع النووى جـ ١٦ ص ١٠٨ ٠

أحدهما : أنه يبارك فى المال ويدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة .

الثانى : أنه وان نقصت صـــورته كان فى الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة الى اضعاف كثيرة .

٢ ـ ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا .

ذكر الوجهان أيضا هنا :

أحدهما : أنه على ظاهره وان من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم فى القلوب وزاد عزه واكرامه بين الناس .

الثانى : أن المراد أجره فى الآخرة وعزه هناك .

٣ ـ وما تواضع أحد لله الا رفعه الله الوجهان واردان هنا أيضا :

أحدهما : يرفعه الله فى الدنيا ويثبت له بتواضعه فى القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه .

الثانى : أن المراد ثوابه فى الآخرة ورفعه فيها بتواضعه فى الدنيا يرى العلماء هذه الأوجه الثلاثة موجودة فى العادة معروفة وقد يكون المراد الوجهين معا فى كل جملة أى المذكورة فى الدنيا والآخرة(٢) .. والله أعلم .

---

(٢) راجع النووى جـ ١٦ ص ١٠٨ .

الحـديث السابع والثلاثون

عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ٠

هذه الرواية أخرجها البخارى ومسلم مع زيادة لمسلم وهى **ممن فضل عليه** ٠ وانفرد مسلم عن البخارى فى الرواية الآتية وهى :

عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظروا الى من أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم ، فهو أجـــدر أن لا تزدروا نعمة الله ٠

قال معاوية : **عليكم**(١) وأخرجه أحمد بن حنبل فى جـ ٢/٣١٤ ٠

المفردات :

الخلق : بفتح الخاء المعجمة : الصورة والأولاد والأتباع وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا(٢) ٠

أجدر : أحق ، و **تزدروا :** تحقروا ٠

الاعراب :

اذا ظرفية شرطية تضاف الى شرطها ، ويعمل فيها جابها ٠ **نظر أحدكم** فعل وفاعل **الى من فضل عليه** الى حرف جر و **من** موصولة ، فضل بالبناء على المجهول ، **عليه** متعلق بفضل والجملة صلة الموصول ، والموصول متعلق بنظر،

---

(١) راجع مسلم مع شرح النووى جـ ١٨ ص ٩٧ ، وعمدة القارى جـ ٢٣ ص ٧٨ ، واللؤلؤ والمرجان جـ ٣ ص ٣١٧ ٠

(٢) عمدة القارى جـ ٢٣ ص ٧٨ ٠

فلينظر الى من هو أسفل منه الفاء واقعة فى جواب **اذا** اللام للأمر **ينظر :** مجزوم ، الى حرف جر **من :** موصولة ، **هو :** مبتدأ ، **أسفل منه :** خبر الجملة صلة الموصول ٠

البلاغة :

من فضل : حذف الفاعل للعلم به **الى من أسفل منه ٠ أسفل :** هنا مجاز لأنها لم يرد بها أى كلمة أسفل معناها وانما أريد بها **دون وأقل** ففيها استعارة تبعية بمعنى أنه لم يرد بها الظرفية المكانية وانما معنى من المعانى ٠ هذا وجملة الحديث كلام خال من التأكيد لأن الكلام موجه الى خال الذهن ولم ينزل منزلة المتردد أو المنكر لعدم وجود ما يستدعى ذلك ٠

المعنى :

هذا النظر له جانبان : جانب ممنوع وآخر مطلوب :

الأول : الجانب الممنوع وهذا الجانب : هو الدنيوى ينبغى فى الجانب الدنيوى أن لا ينظر الانسان الى من هو فوقه أو الذى فضل عليه ، لأن ذلك يحجب عليه نعم الله عليه ٠ وبالتالى لا يشكر الله عليها ، لذا وجه نظره هنا الى من هو أسفل منه ، ليسهل عليه نقصانه الذى وجده الى جانب من فضل عليه ٠ فيفرح بما عنده ، لأنه كلما وجه نظره الى من فوقه صغر ما عنده فى عينه ، وحرص على الازدياد لينحق بذلك أو يقاربه ، وهذا هو الموجود فى غالب الناس ٠ لكن اذا نظر الى من دونه شكر نعمة الله عليه وتواضع وفعل الخير ، ولا يعنى هذا أن يلجأ الى الخمول والدعة وعدم السعى ، فالاسلام لا يدعو الى الخمول ، لابد من الضرب فى الأرض وطلب فضل الله ٠

والثانى :

الجانب المطلوب النظر اليه : وهو الجانب الدينى فالانسان عادة لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدا فيها ، الا وجـــد من هو فوقه ،

فمتى طلبت نفسه اللحاق به استصغر حاله ، فيكون أبدا في زيادة تقربه من ربه ولا يكون على حال خسيسة بل يطلب العلى دائما ، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده(٣) .

هذا وفي هذا الحديث دواء الداء لأن الشخص اذا نظر الى من هو فوقه ، لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسدا ، ودواؤه أن ينظر الى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعيا الى الشكر ، .. والله أعلم .

---

(٣) راجع شرح النووى على مسلم ج ١٨ ص ٩٧ .

الحـديث الثامن والثلاثون

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا(١) .

رواه البخارى فى الجنائز والطب ومسلم فى الايمان . والترمذى فى الطب . والنسائى فى الجنائز والدارمى فى الديات .

المفردات :

يتوجأ : يتوجأ بها فى بطنه : هو بالجيم وهمزة فى آخره ويجوز تسهليه بقلب الهمزة ألفا ومعناه يطعن وهو الوارد فى البخارى أى يجاء : بفتح الياء وبعد الألف همزة من وجأته بالسكين اذا ضربه وأصله يوجىء بكسر الجيم فحذفت الواو لوقوعها بين عدويها : الياء والكسر ، ثم فتحت الجيم لأجل الهمزة ، واذا بنى للمجهول أعيدت الواو فقيل يوجأ ، **يتردى :** ينزل أى يسقط .

جهنم : اسم لنار الآخرة - عافانا الله منها ومن كل بلاء - ، وسميت بذلك لبعد قعرها لانه يقال بئر جهنام أى بعيدة القعر ، وقيل مشتقة من الجهومة وهى الغلظ يقال جهم الوجه أى غليظه فسميت جهنم لغلظ أمرها .

سما : هو بضم وفتح وكسر السين والكسر أفصح ، وجمعه سمام .

---

(١) راجع الحديث فى مسلم شرح النووى جـ ٢ ص ١١٨ وعمدة القارى جـ ٢١ ص ٢٩١ وجـ ٨ ص ١٩٠ . واللؤلؤ والمرجان جـ ١ ص ٢١ . مسح اختلاف فى اللفظ والطول والقصر والزيادة . وعمدة القارى جـ ٢٣ ص ١٨٠ .

يتحساه : يشربه فى تمهل ويتجرعه ، وأصله من حسوت المرق حسوا بالضم الجرعة من الشراب بقدر ما يحسى مرة واحدة وبالفتح المرة · **بحديدة :** أراد به آلة قاطعة مثل السيف والسكين · والحديدة أخص من الحديد ، سمى به لأنه منيع ، لأن أصله من الحد : وهو المنع والجمع حدائد وجاء فى الشعر : الحديدات ·

الاعراب :

خالدا مخلدا حال أى منصوب على الحالية ، والفاء فى فحديدته ، فهو يتحساه فهو يتردى واقعة فى جواب من ·

جهنم : جهنم فى كل مضاف اليه مجرورة بالفتحة لانها اسم لا ينصرف وقيل المانع هو العلمية والعجمة ، وقيل انها عربية فعلى ذلك المانع هو العلمية والتأنيث ·

البلاغة :

الجمل الثلاثة معطوفة على بعضها لكونها متفقة فى الخبرية لفظا ومعنى ولم يوجد مانع من العطف ، وفيه مساواة بين المعنى واللفظ ، وحصل تكرير **فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا** لاستحضار الصورة فى كل جملة ليناسب التكرار وبشاعة العمل المذكور ، ويبين الجزاء المناسب لذلك · وقانا الله منه آمين ·

المعنى :

أجمع العلماء وأهل السنة على أن من قتل نفسه ، أنه لا يخرج بهذا العمل من الدين الاسلامى ، وانه يصلى عليه واثمه عليه ، ولم يكره الصلاة عليه الا عمر بن عبد العزيز والأوزاعى ، ويقول صاحب العمدة : الصواب قول الجماعة لأن النبى صلى الله عليه وسلم سن الصلاة على المسلمين ولم يستثن منهم أحدا فيصلى على جميعهم ، الا أن صاحب العمدة أضاف قائلا : قال أبو يوسف لا يصلى على قاتل نفسه لأنه ظالم لنفسه فيلحق بالباغى وقاطع

---

(٢) راجع عمدة القارى جـ ٨ ص ١٩١ ·

الطريق وعند أبى حنيفة ومحمد يصلى عليه ، لأن دمه هدر كمـــا لو مات حتفه(٢) ٠

أما ذكر **خالدا مخلدا فيها** المراد بذلك يجوز أن يكون فى حق الذى استحل قتل نفسه ، أو أن يكون بمعنى المكث الطويل فى النار ، لأن المؤمن لا يبقى خالدا مخلدا فى النار ٠ هذا وقد حكى : ان هذا الحديث ورد فى حق رجل بعينه كافر فحمله الناقل على ظاهره ٠ وقال بعضهم هذا بعيد ، وقال صاحب العمدة لا بعد فيه حيث لا مانع من ذلك(٣) ٠

---

(٢) راجع عمدة القارى جـ ٨ ص ١٩١ ٠

(٣) راجع نفس المصدر السابق جـ ٢١ ص ٢٩٢ ٠

الحـديث التاسع والثلاثون

عن المقدام رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده ٠

وهو من أفراد البخارى أخرجه فى كتاب البيوع ٠

والمقدام بكسر الميم هو المقدام بن معدى كرب الكندى مات سنة سبع وثمانين بمدينة حمص وليس له فى البخارى غير هذا الحديث وآخـــر فى الأطعمة(١) ٠

المفردات :

مما ورد من الروايات **ما أكل أحد** ٠ وفى رواية الاسماعيلى **ما أكل أحد من بنى آدم و من عمل يده** ٠ وفى رواية الاسماعيلى **من عمل يديه** ٠ بالتثنية **وان نبى الله** ٠ وفى رواية **فان نبى الله** ٠

قط تقول : ما رأيته قط ، ويضم ويخففان ٠ و **قط** مشددة مجرورة بمعنى الدهر مخصوص بالماضى أى فيما مضى من الزمان أو فيما انقطع من عمرى ، اذا أردت **بقط** الزمان فمرتفع أبدا غير منون ٠ **تقول** : ما رأيت مثله قط وتختص بالنفى ماضيا وتقول العامة : لا أفعله قط ، وفى مواضع من البخارى جاء بعد المثبت منها فى الكسوف ٠ أطول صلاة صليتها قط ، وقال ابن مالك فى الشواهد وهى مما خفى على كثير من النحاة(٢) ٠

الاعراب :

ما أكل أحد طعاما ما نافية أكل فعل ماضى وفاعله أحد وطعاما مفعول

---

(١) عمدة القارى جـ ١١ ص ١٨٦ ٠
(٢) راجع القاموس المحيط ٠

به ، وقد مر الحديث عن **قط** فى المفردات · **خيرا** صفة لطعام ويجوز فيه الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف **أى هو خير** ·

البلاغة :

جاء الحديث فى أوله من غير تأكيد على حسب الأصل لأنه موجه لخالى الذهن والجملة كما ترى خبرية ولم يقدر أى اعتبار آخر ، ولكن نرى أن الجملة الثانية جاءت مؤكدة وذلك لوقوعها موقع الدليل كأن المخاطب عندما سمع الجملة الخبرية الأولى تنبه لها وظهرت له أهميتها ، فبدا كأنه يطلب الدليل عليها فقيل له : **ان نبى الله داود** ··· الحديث · فحسن التأكيد فى الثانية ، ويمكن أن نلحظ رواية الحديث بعدم العاطف فيقدر بأن هناك سؤالا نشأ عن الجملة الخبرية فجاءت الثانية جوابا لذلك السؤال ، فكان هناك فصلا لذلك ، فيكون فى الثانية نكتتان بلاغيتان ، ولا شك أن للتعليل والاتيان بالدليل وقع خاص بالنفس ·

المعنى :

الحديث يدل على أن خير ما يأكله الانسان هو ما اكتسبه من عمل يده لما فى ذلك من ايصال النفع الى الكاسب والى غيره والسلامة على البطالة التى تؤدى الى الفضول وخوض الانسان فيما لا يعنيه ، كما أن فيه كسر النفس والتعفف عن السؤال ·

هذا وقد يتساءل السامع عن الحكمة فى تخصيص نبى الله داود بالذكر ، وذلك من عدة أوجه منها أن اقتصاره فى أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة فى الأرض كما ورد فى نص القرآن الكريم ، اذن قصد الأكل من طريق الأفضل لهذا أورده النبى صلى الله عليه وسلم وذكر قصته فى مقام الاحتجاج على ماتقدم من أن خير الكسب عمل اليد ، هذا وقيل انه كان يعمل القفاف ويأكل منها ، وورد فى نص القرآن الكريم أنه كان يعمل الدروع من الحديد ·

هذا وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يأكل من سعيه الذى بعثه الله عليه فى القتال وكان يعمل طعامه بيده ليأكل من عمل يده قيل لعائشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى أهله قالت كان فى مهنة أهله فاذا أقيمت الصلاة خرج اليها · وتجارته ورعيه للغنم قبل البعثة فلا يحتاج الى كلام ·

اذن هذا سيد الأنبياء وامام المرسلين فعليك يا أخى باتبـــاع سنته والتمسك بآثاره الطيبة وفقنى الله واياك ···

الحـديث الأربعون

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتانى آت من ربى فأخبرنى ، أو قال :بشرنى أنه من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ٠

وورد الحديث فى كتـــاب اللباس كالآتى : **أن أبا ذر رضى الله عنـــه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : ما من عبد قال : لا اله الا الله ، ثم مات على ذلك الا دخل الجنة ٠ قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ٠ قلت وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ٠ قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذر ٠ وكان أبو ذر اذا حدث بهذا الحديث قال : وان رغم أنف أبى ذر ٠** وفى رواية : **أتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فبشرنى** وفى رواية أخرى : **ما من رجل يشهد أن لا اله الا الله ومات لا يشرك بالله شيئا الا دخ لالجنة أو لم يدخل النار قلت وان زنى وان سرق ؟ قال وان زنى وان سرق رغم أنف أبى الدرداء(١) ٠**

أخرجه البخارى فى أول كتاب الجنائز وفى كتاب التوحيد وكتـــاب اللباس باب الثياب الأبيض ٠ ومسلم فى الايمان والنسائى فى اليـــوم والليلة وأخرجه الترمذى أيضا ٠

اللغة :

أتانى آت من ربى : المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام وقد ورد اسمه نصا فى رواية أخرى ٠ وكان هذا فى رؤيا منام بدليل **أتيته وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ ٠**

(من امتى) : يشمل أمة الاجابة وامة الدعوة ٠
رغم أنف أبى ذر : من رغم اذا التصق بالرغام وهو التراب ٠

الاعراب :

وعليه ثوب أبيض الواو للحال ٠ **وان زنى** حرف الاستفهام مقدر فيه

---

(١) راجع عمدة القارى جـ ٨ ص ٣ وجـ ٢٢ ص ٧ والنووى فى جـ ٢ ص ٩٤ ٠

فالتقدير : أدخل الجنة وان سرق وان زنى · والجملة الشرطية حال · ويلاحظ أن الجواب لا يحمل استفهام ·

البلاغة :

١ - فائدة ذكر الثوب والنوم والاستيقاظ غير ظاهر تقريبا ولكن اذا علم انه جاء لتقرير التثبت والاتقان فيما يرويه الراوى فى آذان السامعين ليتمكن فى قلوبهم ظهر أن له مكانة بلاغية فائقة ·

٢ - **رغم أنف** هذه الجملة تستعمل مجازا بمعنى كره أو ذل اطلاقا لاسم السبب على المسبب ·

٣ - تكرير أبى ذر الاستفهام جاء لاستعظامه دخول الجنة مع مباشرة الكبائر فجاء تكرير النبى صلى الله عليه وسلم فى الرد عليه لانكار استعظامه وتحجيره واسعا ، فان رحمة الله تعالى واسعة على خلقه ·

٤ - فيه اطناب فى تكرير أبى ذر الاستفهام وفى الرد عليه وقد علم فائدة ذلك فى الحديث الماضى ·

٥ - أما تكرار أبى ذر لجملة رغم أنف أبى ذر كلما روى الحديث فهو للشرف والافتخار ولا شك انه من أعظم الشرف والافتخار أن يجد الانسان هذه المنزلة الخطابية مع أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم ·

٦ - مجيىء الشرط **وان زنى وان سرق** هنا كان للمبالغة ، لأنه اذا علم أن من زنى وسرق دخل الجنة ، فالذى لم يزن ولم يسرق من باب أولى أن يدخل ·

المعنى :

قال العلماء فى بيان معنى الحديث(٢) : ان فى الأمر تفصيل اذ أن المشرك اذا قال لا اله الا الله واستمر على ذلك حتى مات دخل الجنة · أما الموحد من الذين ينكرون نبوة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يدعى أنه مبعوث للعرب خاصة ، فمثل هذا لا يحكم باسلامه بمجرد قوله كلمة التوحيد ، فلا بد من ضميمة محمد رسول الله · ويبدو لى أن الملحد والذى يقول بالطبيعة يأخذ حكم المشرك على أن جمهور العلماء يرى أنه لابد بعد التلفظ بالشهادتين أن يقول : تبرأت عن كل دين سوى دين الاسلام · بهذا

---

(٢) راجع النووى جـ ٢ ص ٩٦ وعمدة القارى جـ ٢٢ ص ٨ وجـ ٨ ص ٣ - ٥ ·

يتضح لنا أن من قال كلمة التوحيد من المشركين ومات لا يشرك بالله دخل الجنة ٠

أما قول أبى ذر وان زنى وان سرق ورد الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فكان أبو ذر مستبعدا ذلك لأنه كان واضعا فى ذهنه قوله صلى الله عليه وسلم **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن** وما فى معناه ، وكان رد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه لزيادة التوضيح والبيان ٠

أما اختصار أبى ذر على نوعين من المعصية وهى الزنى والسرقة نظرا لأن الذنب اما أن يكون حقا لله تعالى وأشار اليه بالزنى ٠ واما أن يكون من حق العباد وأشار الى ذلك بالسرقة ٠ ثم علق على ذلك بأنه يتم رغم أنفه يدل على وقوعه مخالفا لما يريد ، وقيل معناه كراهة منه ٠ وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم لاستبعاد أبى ذر العفو عن الزانى والسارق المنتهك للحرمة واستعظامه ذلك وتصوير أبى ذر بصورة الكاره المانع وان لم يكن ممانعا وكان ذلك من أبى ذر لشدة نفرته من معصية الله تعالى وأهلها ٠

هذا وقد قيل : ان حديث أبى ذر هذا من أحاديث الرجاء التى أفضى الاتكال عليها لبعض الجهلة الى الاقدام على الموبقات ٠ وليس الأمر كذلك ، فان القواعد استقرت على أن حقوق الآدميين لا تسقط بمجرد الموت على الايمان ، كما لا يلزم من عدم سقوطها ألا يتكفل الله بها عمن يريد أن يدخله الجنة ، ومن ثم رد صلى الله عليه وسلم على أبى ذر استبعاده ٠

ما يؤخذ منه :

فى الحديث حجة لأهل السنة من أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بدخول النار وانهم ان دخلوها خرجوا منها ٠ وفيه أيضا أن الكبيرة لا تسلب اسم الايمان وانها لا تحبط الطاعة ، وأن صاحبها لا يخلد فى النار فان عاقبته دخول الجنة ٠ وفيه رد على المبتدعة من الخوارج والمعتزلة الذين يدعون وجوب خلود من مات من مرتكبى الكبائر من غير توبة فى النار ٠ لان الحديث صريح فى أن من مات على التوحيد ولا يشرك بالله دخل الجنة ٠ كما انه من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة٠ نسألك اللهم أن تجعل آخر كلامنا فى الحياة كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله ٠

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ٠
آمين

---

(٢) راجع النووى جـ ٢ ص ٩٦ وعمدة القارى جـ ٢٢ ص ٨ وجـ ٨ ص ٣ ـ ٥ ٠

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم ٠
٢ - صحيح البخارى للامام أبى عبد الله البخارى ٠
٣ - صحيح مسلم لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى ٠
٤ - الموطأ للامام مالك بن أنس رضى الله عنه ٠
٥ - سنن النسائى لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى ٠
٦ - سنن أبى داود الأشعث السجستانى الأزدى ٠
٧ - المسند للامام أحمد بن محمد بن حنبل ٠
٨ - سنن الحافظ أبى عبد الله محمد بن ماجة القزوينى ٠
٩ - سنن الدارمى ٠ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ٠
١٠ - سنن الترمذى - الجامع الصحيح - للامام عيسى بن محمد الترمذى ٠
١١ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقى ٠
١٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى لشهاب الدين بن حجر العسقلانى٠
١٣ - عمدة القارى ، شرح صحيح البخارى لبدر الدين العينى ٠
١٤ - شرح النووى على صحيح مسلم لمحى الدين النووى ٠
١٥ - شروح البخارى لصديق حسن القنوجى ٠
١٦ - جامع العلوم والأحكام فى شرح خمسين حديثا لزين الدين البغدادى٠
١٧ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لمجد الدين ابن الأثير ٠
١٨ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن على الشوكانى ٠
١٩ - شرح الحافظ جلال الدين السيوطى على سنن النسائى ٠
٢٠ - شرح الأربعين حديثا النووية للشبراخيتى ٠
٢١ - مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى ٠
٢٢ - القاموس المحيط للفيروزبادى ٠
٢٣ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث للفيف من العلماء ٠

محتويات الكتاب

رقم الحديث	موضوع الحديث	الصفحة
١	الأعمال بالنيات	١
٢	حقيقة الايمان والاسلام والاحسان	١١
٣	الحب والايمان	٢٥
٤	حبه صلى الله عليه وسلم من الايمان	٢٨
٥	تكفير سيئات من أسلم وحسن اسلامه	٣١
٦	المسلم والمهاجر	٣٥
٧	قبض العلم بقبض العلماء	٣٨
٨	قيامه صلى الله عليه وسلم	٤١
٩	أبو ذر والمساواة بين المؤمنين	٤٣
١٠	حق الطريق	٤٨
١١	الحلال والحرام والشبهات	٥١
١٢	أفى الحدود شفاعة ؟	٥٩
١٣	الدين النصيحة	٦٤
١٤	جزاء تعذيب الهرة	٦٩
١٥	من صفاته صلى الله عليه وسلم	٧١
١٦	صلة الرحم	٧٤
١٧	النظر الى الأعمال لا الى الصور	٧٩
١٨	مكانة الجار	٨١
١٩	خير الصدقة عن ظهر غنى	٨٤
٢٠	يسر الدين	٨٨
٢١	الناس على الفطرة	٩١
٢٢	تنفيس كرب المؤمنين	٩٧

رقم الحديث	موضوع الحديث	الصفحة
٢٣	الرفق زينة	١٠١
٢٤	من الشديد ؟	١٠٣
٢٥	الجنة والنار	١٠٦
٢٦	مثله صلى الله عليه وسلم ومثل الأنبياء	١٠٨
٢٧	الجليس الصالح والجليس السوء	١١١
٢٨	خير المؤمنين	١١٤
٢٩	دخول الجنة بعد التحايب	١١٨
٣٠	التوسل بالعمل الصالح	١٢٠
٣١	فرح الله بتوبة عبده	١٢٦
٣٢	من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة	١٢٩
٣٣	مدح الأخ لأخيه	١٣٣
٣٤	طريق الصدق وطريق الكذب	١٣٧
٣٥	من أدرك أبويه عند الكبر	١٤٠
٣٦	الصدقة والعفو والتواضع	١٤٢
٣٧	طريق تجنب ازدراء نعمة الله	١٤٤
٣٨	من قتل نفسه	١٤٧
٣٩	خير الطعام	١٥٠
٤٠	من مات لا يشرك بالله	١٥٢
المصادر والمراجع		١٥٥

التصـــــويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	٣	ابن ماجد	ابن ماجة
١	٥	يصحبها	يصيبها
٣	١٥	نفح	نفع
٣	١٨	لفظة	لفظه
٤	١٤	احباب	أصاب
٤	٥	دنيوى دنيبى	دنيوى ودنيبى
٥	٥	مررت على بامرىء	مررت بامرىء
٥	١٠	صلها	صلتها
٥	١٥	الدنيا	دنيا
٦	١	المتبدأ	المبتدأ
٦	٢٣	كان	كأن
٦	٢٧	آخرة	آخره
٧	٤	الخارجية	الخارجة
٧	٢٣	لحقاهم	لحاقهم
٩	٥	خلصتان	خصلتان
١٣	٩	وكلما	وكل ما
١٣	١٢	بثليث	بتثليث
١٤	٢	لميزد	لمزيد
١٤	٢٠	المسلم	المسلم
١٥	١٤	مساك	امساك
١٥	٢٦	يعلم المرادأن	يعلم أن
١٦	٢	الكفارة	الكفار
١٦	٢	يعرفن	يعرفون
١٦	٤	أنباءهم	أبناءهم
١٦	١٠	دواد	داود
١٦	٧	شاهد	مشاهد
١٧	٢٠	عن	من
١٧	٢٠	عليها	عليه
١٨	٥	البفره	البقرة
١٩	٢٣	أن الولاة	أن الولادة
٢٠	٥	مقروؤة	مقروءة
٢٠	١٧	لفى	لنفى
٢١	٦	للشبه	للمشبه
٢٢	١١	بالبعث النشور	بالبعث والنشور
٢٤	٥	النقائض	النقائص
٢٥	٥	وان ماجة	وابن ماجة
٢٦	٨	لايرن	لا يؤمن
٢٨	١١	ذكره الحديث	ذكره فى الحديث
٣١	١١	مبا غة	مبالغة
٣١	١١	با طاعة	بالطاعة
٣٢	١٨	الفرد	المفرد
٣٢	١٩	نظلم	نظم
٣٦	١٧	مسما	مسلما
٣٧	١٠	الماهجرين	المهاجرين
٣٧	١١	ايداء	ايذاء
٣٩	٨	اتحاذها	اتخاذها
٣٩	١٤	قبلت	قلبت
٤١	٢	زيادة	زياد
٤٣	٣	سابت	التهجد
٤١	٥	التجهد	سابيت
٤٣	١٩	وأحد الخندق	وأحد والخندق
٤٣	٢١	عليمه	عليه
٤٣	٢٢	وروى مائتا	وروى له مائتا
٤٤	١٣	سابيت	سابيت
٤٥	٤	يجوز أن أن تكون	يجوز أن تكون
٤٥	٦	مجنوم	مجزوم
٤٩	١	بيزادة	بزيادة
٥٠	٢	فهد	فهو
٥٠	١١	زلك	ذلك
٥٥	١٧	معاصية	معاصيه
٥٦	٩	ورعية	ورعيه
٥٦	١١	متنزع	منتزع
٥٦	١٩	الصريحة	التصريحية
٥٩	١٩	الصحبابى	الصحابى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٠	١٤	أهل	أهى
٦١	١٦	المخزاومية	المخزومية
٦٣	٥	بن يزد	بن زيد
٦٥	٢٣	المشمع	الشمع
٦٦	١	كان	كان
٦٦	١٦	لأ	لله
٦٧	٥	خصومه	خصوصه
٦٨	١	للمسلمين	المسلمين
٦٨	٢	كيف	كف
٦٩	٧	خشاس	خشاش
٧١	١٦	الأمقة	الأمقه
٧٤	١٣	بحق	بحقو
٧٥	٧	أفرغ	فرغ
٧٥	١٨	فعيلة	فعلية
٧٦	٦	النايه	الكنايه
٧٦	٨	بقطعة	بقطعه
٧٦	٢٦	وصل حرمان	وصل وحرمان
٧٨	١٣	بتاولين	بتاويلين
٧٩	٣	صركم	صوركم
٨٤	٥	الرفاق	الرفاق
٨٦	١	شجع	سجع
٨٦	٢٣	فرصة	فرض
٨٩	٥	الوزال	الزوال
٩١	٤	تنج	تنتج
٩١	١٨	أقول	أقوال
٩٢	٩	مصدور	لمصدر
٩٢	١٨	مقولافيهافى	مقولا فى
٩٨	٤	آخرة	آخره
١٠٨	١٠	وأحسنه	فأحسنه
١٠٩	١١	تخصيصة	تخصيصية
١٢٩	٣	عزاب	عذاب
١٢٩	٤	بالغلاة	بالغلاة
١٢٩	٦	منهاوفى وفى ان	منها وفى وان
١٢٩	١٠	ينظر اليهم	ينظر الله اليهم
١٢٩	١٦	عزاب	عذاب
١٣٠	١١	من الفاء	من الوفاء
١٣١	١٥	الثلاث	الثلاثة
١٣٣	٢٠	فبد الله	عبد الله
١٣٤	١٢	كافية	كافيه
١٣٩	١٦	يفتح	بفتح
١٤٢	٣	الله	لله
١٤٢	٦	الذكاة	الزكاة
١٤٤	١٥	جابها	جوابها

وما عدا هذا لا يخفى على القارىء .